بسم الله الرحمن الرحيم

تيه بني إسرائيل بين القرآن والتوراة

(دراسة مقارنة)

نضال عباس دويكات

رمضان ١٤٢٩هـ

مقدمة

الحمد لله وحده ، منزل الكتاب مجري السحاب هازم الأحزاب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وبعد .

فهذا بحثي المتواضع الموسوم بــ (تيه بني إسرائيل بين القرآن والتوراة دراسة مقارنـــة)، أقدمه بين يدي القارئ لعل الله أن ينفع به ، إنه على ما يشاء قدير ، ويأتي هذا البحث خدمـــة للمكتبة الإسلامية العامرة والزاخرة بالعلوم النافعة في الدارين، وهو جزءٌ يسيرٌ من حقها عليَّ فقد نهلت من معينها الذي لا ينضب الخير الكثير ولكني لم أقدم لها ولو الشئ القليـــل، وهـــذا البحث يأتي في سياق الأبحاث التي تقدم كدراسات مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم وبين التوراة التي بين أيدينا والتي نجزم أنها قد حرفت من قبل أعداء الدين ، وهنـــا لا بـــد مـــن توضيح بعض النقاط التي تهم القارئ الكريم وهي على النحو الآتي:

أولاً: هذا البحث هو نظرات في التيه وأحداثه في الكتابين وبذلك لم يستوعب كـــل الأحـــداث بتفاصيلها ودقائقها مع أنه قد شمل الأغلب والأعم من تلكم الأحداث .

ثانياً: منهجي في هذا البحث أني تطرقت إلى الأحداث التي أشارت إلى التيه وأحداثـــه فـــي الكتابين وتركت الكلام عن الأحداث التي أختلف في كونها حدثت في زمن التيه أو غيره .

ثالثاً: أعتذر من القارئ الكريم على أنني لم ألتزم بمنهجية البحث العلمي بشكل دقيق وعذري في ذلك أن هذا البحث لم أقدمه كدراسة أكاديمية وإنما يأتي في إطار البحث الشخصي.

وقد قسمت هذا البحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التيه لغة وإصطلاحاً .

المطلب الأول : التيه لغة .

المطلب الثاني : التيه إصطلاحاً .

المبحث الأول: التيه لغة وإصطلاحا .

المطلب الأول: التيه لغة .

من الفعل تاه، تَيْها و تِيها و تَيهانا، فهو تائه و تيَّاه و في الأرض ضلَّ و ذهب متحيراً فهو تائه، وأتاهه: أضلَّه، والتيه: المفازة التي لا علامة فيها يهتدى بها و يقال: أرض تِيهٍ مُضِلَّةٍ، وتاه في المفازة تَوْها و تُوْها ضلَّ الطريق، و في الأرض ذهب متحيراً و هلك و تكبَّر و اضطرب عقله[١].

المطلب الثاني: التيه اصطلاحا .

نستطيع القول أن التيه عقوبة من الله تعالى استحقها جيل من أجيال بني إسرائيل، وهم الذين رفضوا الأمر بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، ونكصوا على أعقابهم بعد أن نجاهم الله من فرعون وقومه، وأسبغ عليهم نعمه الكثيرة، فكان جزاؤهم أن تاهوا في الصحراء أربعين سنة، وذلك في إشارة إلى قوله تعالى (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ ۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ)[٢].

---

١. المعجم الوسيط ، (١/ ٩٢)، باب التاء، إبراهيم مصطفى وآخرون .

[2] . المائدة (٢٦) .

المبحث الثاني: سبب التيه وموجباته.

المطلب الأول: سبب التيه في الكتابين.

ذكر القرآن الكريم السبب الذي إستحق من أجله بنو إسرائيل التيه في الأرض وهو المعصية (لله ولرسوله موسى عليه السلام)، وذلك لأنهم رفضوا الأمر بدخول الأرض المقدسة، وورد ذلك صراحة في سورة المائدة، قال الله تعالى على لسانهم بعد أن ذكر الأمر لهم بدخول الأرض المقدسة (قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ)[1]، وكان ذلك جوابا على قوله (يَـٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ)[2]، فدعا موسى عليه السلام الله أن يفرق بينه وبين قومه الفاسقين، فأخبره تعالى أنه قد حكم عليهم بالتيه في الأرض أربعين سنة لا يهتدون سبيلاً، (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي ۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ ۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَـٰسِقِينَ)[3]، وتتفق التوراة مع القرآن في أن سبب الحكم بالتيه على بني إسرائيل كان معصيتهم لله ولرسوله موسى عليه السلام وذلك رفضهم دخول الأرض التي أمرهم الله بدخولها وقتال من فيها، وذلك بعد أن طلب موسى

---

[1] . المائدة (٢٤) .

[2] . المائدة (٢١) .

[3] . المائدة (٢٥- ٢٦) .

عليه السلام من كل سبط [1]من أسباطهم أن يخرجوا له نقيباً منهم ليرسلهم إلى الأرض التـــي أمرهم الله بدخولها ليتجسسوا على أهلها، ويأتوه بخبرها، فلما عادوا من مهمتهم أشاعوا بـــين بني إسرائيل الخوف والرعب من سكان تلك الأرض مع إعترافهم بكثرة الخير فيها، وكـــان ذلك من الأسباط جميعا سوى اثنين منهم ذكرتهما التوراة هما (هوشع بن نون) وفي بعـــض المواضع ذكرته (يوشع بن نون) والآخر هـــو (كالب بن يفنَّه)، فانقلب بنو إسرائيل على موسى وهارون عليهما السلام، وأخبروهما أنهم لن يدخلوا تلك الأرض ولن يقـــاتلوا أهلهـــا، فعندها أخبر الله موسى عليه السلام كما تقول التوراة بأنه سينزل الوباء على بنـــي إســـرائيل الذين خالفوا أمره، تقول التوراة: (**وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ؟ إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَـــاء وَأُبِيـــدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ**)[2]، فطلب موسى عليه السلام مـــن الله أن لا يقتـــل بنـــي إسرائيل بالوباء حتى لا تقول الشعوب إن الله قتل بني إسرائيل لأنه لم يـــستطع أن يـــدخلهم الأرض التي حلف أنها ستكون لهم، فاستجاب الله لطلبه وأخبره بأنه قد صفح عنهم لكنه كتب عليهم التيه أربعين سنة جزاءً على فعلهم ومعصيتهم (**فقـــال مُوسَـــى لِلـــرَّبِّ: « فَيَـــسْمَعُ الْمِصْرِيُّونَ الَّذِينَ أَصْعَدْتَ بِقُوَّتِكَ هذَا الشَّعْبَ مِنْ وَسَطِهِمْ، وَيَقُولُونَ لِسُكَّانِ هذِهِ الأَرْضِ الَّذِينَ قَدْ سَمِعُوا أَنَّكَ يَا رَبُّ فِي وَسَطِ هذَا الشَّعْبِ، الَّذِينَ أَنْتَ يَا رَبُّ قَدْ ظَهَرْتَ لَهُمْ عَيْنًـــا لِعَـــيْنٍ، وَسَحَابَتُكَ وَاقِفَةٌ عَلَيْهِمْ، وَأَنْتَ سَائِرٌ أَمَامَهُمْ بِعَمُودِ سَحَابٍ نَهَارًا وَبِعَمُودِ نَارٍ لَيْلاً. فَإِنْ قَتَلْـــتَ هذَا الشَّعْبَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، يَتَكَلَّمُ الشُّعُوبُ الَّذِينَ سَمِعُوا بِخَبَرِكَ قَائِلِينَ: لأَنَّ الرَّبَّ لَمْ يَقْـــدِرْ أَنْ يُدْخِلَ هذَا الشَّعْبَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لَهُمْ، قَتَلَهُمْ فِي الْقَفْرِ. فَالآنَ لِتَعْظُمْ قُدْرَةُ سَيِّدِي كَمَـــا**

[1] . السِّبْطُ من اليهود كالقبيلة من العرب وهم الذين يرجعون إلى أَب واحد سمي سِبْطاً ليُفْرَق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق وجمعه أَسْباط، أنظر لسان العرب (٣٠٨/٧) ، لابن منظور ، باب سبط .

[2]. سفر العدد (١٤: ١١– ١٢) .

تَكَلَّمْتَ قَائِلاً: الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ، لكِنَّهُ لاَ يُبْرِئُ. بَلْ يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابعِ. اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى ههُنَا». ٠فَقَالَ الرَّبُّ: « قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ. وَلكِنْ حَيٌّ أَنَا فَتُمْلأُ كُلُّ الأَرْضِ مِنْ مَجْدِ الرَّبِّ، إِنَّ جَمِيعَ الرِّجَالِ الَّذِينَ رَأَوْا مَجْدِي وَآيَاتِي الَّتِي عَمِلْتُهَا فِي مِصْرَ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، وَجَرَّبُونِي الآنَ عَشَرَ مَرَّاتٍ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِي، لَنْ يَرَوْا الأَرْضَ الَّتِي حَلَفْتُ لآبَائِهِمْ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ أَهَانُونِي لاَ يَرَوْنَهَا)[1]، وفي موضع آخر تذكر التوراة مدة التيه التي كتبه الله على بني إسرائيل أربعين سنة **(فَجُثَثُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هذَا الْقَفْرِ، وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْنَى جُثَثُكُمْ فِي الْقَفْرِ. كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا الأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلسَّنَةِ يَوْمٌ. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي. أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لأَفْعَلَنَّ هذَا بِكُلِّ هذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَيَّ. فِي هذَا الْقَفْرِ يَفْنَوْنَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ)**[2]، وبعد ذلك تذكر التوراة أن بني إسرائيل ندموا على عصيانهم للرب واعترفوا بالذنب الذي ارتكبوه، وقالوا لموسى عليه السلام أنهم يريدون أن يصعدوا للمكان الذي يريده الرب فنهاهم موسى عليه السلام عن ذلك لأن الرب كما تقول التوراة ليس في وسطهم مما سيتسبب في هزيمتهم أمام أعدائهم، لكنهم عصوا أمر موسى عليه السلام مرة أخرى، وصعدوا للجبل وحصلت لهم الهزيمة التي حذرهم منها موسى عليه السلام، **(وَلَمَّا تَكَلَّمَ مُوسَى بِهذَا الْكَلاَمِ إِلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَكَى الشَّعْبُ جِدًّا. ثُمَّ بَكَّرُوا صَبَاحًا وَصَعِدُوا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ قَائِلِينَ: «هُوَذَا نَحْنُ نَصْعَدُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَالَ الرَّبُّ عَنْهُ، فَإِنَّنَا قَدْ أَخْطَأْنَا» فَقَالَ مُوسَى: «لِمَاذَا تَتَجَاوَزُونَ قَوْلَ الرَّبِّ؟ فَهذَا لاَ يَنْجَحُ. لاَ**

[1] . سفر العدد (١٤: ١٣- ٢٣) .

[2] . سفر العدد (١٤: ٣٢- ٣٥) .

تَصْعَدُوا، لأَنَّ الرَّبَّ لَيْسَ فِي وَسَطِكُمْ لِئَلاَّ تَنْهَزِمُوا أَمَامَ أَعْدَائِكُمْ. لأَنَّ الْعَمَالِقَــةَ وَالْكَنْعَــانِيِّينَ هُنَاكَ قُدَّامَكُمْ تَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ. إِنَّكُمْ قَدِ ارْتَدَدْتُمْ عَنِ الرَّبِّ، فَالرَّبُّ لاَ يَكُونُ مَعَكُــمْ». لكِــنَّهُمْ تَجَبَّرُوا وَصَعِدُوا إِلَى رَأْسِ الْجَبَلِ. وَأَمَّا تَابُوتُ عَهْدِ الرَّبِّ وَمُوسَى فَلَمْ يَبْرَحَــا مِــنْ وَسَــطِ الْمَحَلَّةِ. فَنَزَلَ الْعَمَالِقَةُ وَالْكَنْعَانِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي ذلِكَ الْجَبَــلِ وَضَــرَبُوهُمْ وَكَــسَّرُوهُمْ إِلَــى حُرْمَةَ)[1]. كما وتذكر التوراة في هذا المقام مصير النقباء العــشرة الــذين أشــاعوا الرعــب والخوف في قلوب بني إسرائيل بعد أن أرسلهم موسى عليه السلام لكي يتجسسوا على أهــل الأرض الذين طلب الله منهم أن يدخلوها ويقاتلوا القوم الذين يسكنون فيهــا، فمــاتوا جميعــا بالوباء الذي لم تحدد التوراة طبيعته جزاءً وفاقاً على ذلك الفعل الذي ارتكبوه، فقد خذَّلوا بني إسرائيل عن الجهاد، (أَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ أَرْسَــلَهُمْ مُوسَــى لِيَتَجَسَّــسُوا الأَرْضَ، وَرَجَعُــوا وَسَجَّسُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِإِشَاعَةِ الْمَذَمَّةِ عَلَى الأَرْضِ، فَمَاتَ الرِّجَالُ الَّذِينَ أَشَاعُوا الْمَذَمَّةَ الرَّدِيئَةَ عَلَى الأَرْضِ بِالْوَبَاءِ أَمَامَ الرَّبِّ)[2].

المطلب الثاني: دعاء موسى عليه السلام على بني إسرائيل .

بعدما فُجِع موسى عليه السلام في قومه الجبناء، توجه إلى ربه يشكو إليه قومه ويعلن تبرؤه منهم ويدعوا عليهم ويسأل الله أن يفرق بينه وبينهم، ومع ذلك أيضاً أنه لا يملكهم، ولا يثــق بهم، ولا يضمنهم، ولا يستطيع أن يحملهم على الطاعة والتطبيق، فما عــادوا يطيعونـــه ولا

[1] . سفر العدد (١٤: ٣٩- ٤٠) .
[2] . سفر العدد (١٤: ٣٦- ٣٨) .

يسمعون له[1]، قال تعــالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ)[2]، ولا نجد ذكراً لهذا الدعاء في التوراة، بل على العكس من ذلك نجد أن موســى عليه السلام كما تذكر التوراة يسأل ربه أن يصفح عن بني إسرائيل والله يستجيب له، تقــول التوراة : (**اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِــصْرَ إِلَى ههُنَا». فَقَالَ الرَّبُّ: «قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ»**)[3].

المطلب الثالث: طبيعة التفريق الذي حصل بين موسى عليه السلام وقومه.

سكت القرآن الكريم عن الحديث عن طبيعة التفريق بين موسى وقومه المقصود في قولــه (فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ)[4]، ولم يبِّين طبيعته، فهل كانت صــورة هــذا التفريق المباعدة والفصل المكاني بين الطرفين، فأصبح كل فريق يعيش في مكان منفــصل عن الآخر، وبذلك يكون موسى عليه السلام قد إنفصل عن بني إسرائيل في مرحلة التيه ولم يكن موجوداً معهم، أم كانت صورة ذلك التفريق والفصل بمعنى القــضاء والحكــم بــين الطرفين، وهذا ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما[5]، ويحتمــل أن يكون المراد منه خلِّصنا من صحبتهم كما قال الرازي[6]، ولذلك إختلــف العلمــاء فــي أن

---

[1]. القصص القرآني (٣/ ٢٨٦) ، صلاح الخالدي، بتصرف .
[2]. المائدة (٢٥) .
[3]. سفر العدد (١٤: ١٩– ٢٠) .
[4]. المائدة (٢٥) .
[5]. تفسير القرآن العظيم (٣ / ٧٩) ، ابن كثير .
[6]. مفاتيح الغيب (١١ / ١٥٩) ، الرازي .

موسى وهارون عليهما السلام كانا مع بني إسرائيل في التيه أم لا ؟؟، فقال قوم: إنهما ما كانا في التيه، قالوا: ويدل عليه وجوه: الأول: أنه عليه السلام دعا الله يفرق بينه وبين القوم الفاسقين ، ودعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مجابة، وهذا يدل على أنه عليه السلام ما كان معهم في ذلك الموضع، والثاني: أن ذلك التيه كان عذاباً والأنبياء لا يعذبون، والثالث: أن القوم إنما عُذِّبوا بسبب أنهم تمردوا، وموسى وهارون عليهما السلام ما كانا كذلك ، فكيف يجوز أن يكونا مع أولئك الفاسقين في ذلك العذاب، وقال آخرون: إنهما كانا مع القوم في ذلك التيه إلا أنه تعالى سهل عليهما ذلك العذاب كما سهل النار على إبراهيم عليه السلام فجعلها برداً وسلاماً، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنهما هل ماتا في التيه أم خرجا منه أحياء؟ فقال قوم: إن هارون مات في التيه ثم مات موسى بعده بسنة أو بثلاث سنين، وقال آخرون : بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم وأخذ الأرض المقدسة والله أعلم[1].

بينما لا تذكر التوراة شيئا عن طلب التفريق الذي ذكره القرآن الكريم، ولكنها تورد الكثير من الأحداث التي وقعت في التيه لبني إسرائيل ونلحظ فيها وجود موسى وهارون عليهما السلام مع بني إسرائيل مما يعني لنا أن التوراة تُقرر وجود موسى وهارون عليهما السلام مع بني إسرائيل في رحلة التيه، والنصوص التي في التوراة التي تدل على ذلك كثيرة منها:

(وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى بَرِّيَّةِ صِينَ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي قَادَشَ. وَمَاتَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ وَدُفِنَتْ هُنَاكَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِلْجَمَاعَةِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَكَلَّمُوهُ قَائِلِينَ: «لَيْتَنَا فَنِينَا فَنَاءَ إِخْوَتِنَا أَمَامَ الرَّبِّ. لِمَاذَا

[1] . مفاتيح الغيب (١١ / ١٦٠) ، الرازي .

أَتَيْتُمَا بِجَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى هذِهِ الْبَرِّيَّةِ لِكَيْ نَمُوتَ فِيهَا نَحْنُ وَمَوَاشِينَا؟ وَلِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِتَأْتِيَا بِنَا إِلَى هذَا الْمَكَانِ الرَّدِيءِ؟ لَيْسَ هُوَ مَكَانَ زَرْعٍ وَتِينٍ وَكَرْمٍ وَرُمَّانٍ، وَلاَ فِيهِ مَاءٌ لِلشُّرْبِ!)[1]، وهذا النص في التوراة يأتي في سياق الحديث عن الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل في التيه، وهذا الحدث هو تفجير الماء من الصخرة لبني إسرائيل وهم في التيه[2].

المطلب الرابع: التذكير بنعم الله قبل الأمر بدخول الأرض المقدسة .

ذكر القرآن الكريم أن موسى عليه السلام ذكَّر قومه بثلاث نعم أنعمها الله عليهم قبل أن يأمرهم بدخول الأرض المقدسة وذلك لما فيه من التشجيع والتحفيز لهم على تنفيذ أمر الله وهو الجهاد ودخول الأرض المقدسة، ومن أجل أن يوقظ الإحساس بفضل الله عليهم في نفوسهم، ومقابلة ذلك بتنفيذ أوامره[3]، وهذه النعم الثلاثة جاءت في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام مخاطباً بني إسرائيل (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)[4]

وهذه النعم كما جاءت في الآية الكريمة أن جعل الله فيهم الأنبياء وجعل منهم الملوك وآتاهم في زمانهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وقد تكلم المفسرون عن هذه النعم وأفاضوا في شرحها وبيانها فلينظر كلامهم في مظانه، وفي المقابل لا تذكر التوراة أن موسى عليه السلام ذكَّر قومه بهذه النعم قبل أن يطلب منهم دخول الأرض المقدسة، ولكنها تذكر أنه ذكر لهم

---

[1] . سفر العدد (٢٠: ١- ٥) .
[2] . أنظر سفر العدد من الإصحاح (١٤-٢٠) .
[3] . القصص القرآني (٣/ ٢٧٤)، صلاح الخالدي .
[4] . المائدة (٢٥) .

بعض نعم الله تعالى عليهم في معرض التقريع والتوبيخ بعد أن أعلنوا رفضهم دخول الأرض المقدسة، والنعم التي ذكر بها موسى قومه هي أن الرب يحارب عنهم، وأنه كما تقول التوراة قد حملهم في البريَّة كما يحمل الإنسان ابنه في كل الطريق التي سلكوها، وأنه يسير أمامهم في الطريق ليلتمس لهم مكاناً لينزلوا فيه في النهار وهو ينير لهم الطريق عندما يسيرون ليلاً!!!! (**الرَّبُّ إِلهُكُمُ السَّائِرُ أَمَامَكُمْ هُوَ يُحَارِبُ عَنْكُمْ حَسَبَ كُلِّ مَا فَعَلَ مَعَكُمْ فِي مِصْرَ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ وَفِي الْبَرِّيَّةِ، حَيْثُ رَأَيْتَ كَيْفَ حَمَلَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ كَمَا يَحْمِلُ الإِنْسَانُ ابْنَهُ فِي كُلِّ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْتُمُوهَا حَتَّى جِئْتُمْ إِلَى هذَا الْمَكَانِ. وَلكِنْ فِي هذَا الأَمْرِ لَسْتُمْ وَاثِقِينَ بِالرَّبِّ إِلهِكُمُ السَّائِرِ أَمَامَكُمْ فِي الطَّرِيقِ، لِيَلْتَمِسَ لَكُمْ مَكَانًا لِنُزُولِكُمْ، فِي نَارٍ لَيْلاً لِيُرِيَكُمُ الطَّرِيقَ الَّتِي تَسِيرُونَ فِيهَا**)[1] .

المطلب الخامس: تذمر بني إسرائيل من موسى عليه السلام .

يذكر الكتابان أن بني إسرائيل قد تذمروا من موسى عليه السلام بعد أن حثهم على دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم، بل إن الأمر قد امتد إلى أبعد من ذلك، إلى الوقاحة والسخرية والإستهزاء بموسى عليه السلام وخالقه، فقد ذكر القرآن موقفهم العنيد الذي ينبي عن الجبن الذي إستحكم من نفوسهم، فخارت بسببه قواهم وانهارت عزائمهم، (قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا

[1] . سفر التثنية (١: ٣٠- ٣٤) .

قَـٰعِدُونَ هَـٰهُنَا)[1]، فهم يطلبون من موسى عليه السلام أن يذهب للقتال مع ربه، وكأنهم يشككون في قدرته تعالى على هزيمة الكافرين، ويذكر الألوسي رحمه الله أنهم قالوا ذلك استهانة واستهزاءاً به سبحانه وتعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام وعدم مبالاة، وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبيء عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم[2]، وتذكر التوراة الكثير من المواقف التي تذمر فيها بنو إسرائيل من موسى عليه السلام مؤكدين رفضهم دخول الأرض التي أمرهم الله بدخولها، متهمين الرب أنه أخرجهم من مصر إلى الصحراء ليقضي عليهم وليكونوا غنيمة سهلة لغيرهم من الأمم والشعوب، (**فَرَفَعَتْ كُلُّ الْجَمَاعَةِ صَوْتَهَا وَصَرَخَتْ، وَبَكَى الشَّعْبُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَتَذَمَّرَ عَلَى مُوسَى وَعَلَى هَارُونَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَالَ لَهُمَا كُلُّ الْجَمَاعَةِ: «لَيْتَنَا مُتْنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ، أَوْ لَيْتَنَا مُتْنَا فِي هذَا الْقَفْرِ! وَلِمَاذَا أَتَى بِنَا الرَّبُّ إِلَى هذِهِ الأَرْضِ لِنَسْقُطَ بِالسَّيْفِ؟ تَصِيرُ نِسَاؤُنَا وَأَطْفَالُنَا غَنِيمَةً. أَلَيْسَ خَيْرًا لَنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى مِصْرَ؟» ٤فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «نُقِيمُ رَئِيسًا وَنَرْجِعُ إِلَى مِصْرَ»**)[3].

المبحث الثالث: زمن التيه ومكانه.

المطلب الأول: زمن التيه في الكتابين.

يهتم القرآن بإيراد الأحداث التي فيها مواطن العبر والعظات، ولا يهتم بالتفصيلات التي تخرج عن هذا الغرض، ومن جملة هذه الأمور التي لا يهتم بها السرد التاريخي للأحداث

---

[1] . المائدة (٢٤) .

[2] . روح المعاني (٦ /١٠٨) الألوسي .

[3] . . سفر العدد (١٤: ١- ٥) .

والوقائع والتي تخرج بالقارئ عن الهدف المرجو من إيراد القصة في القرآن الكريم، ونـــرى أن القرآن لم يحدد الزمن الذي وقع فيه التيه لبني إسرائيل، ومن المعلوم أن التيه قد حـــصل لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر فراراً بدينهم وأنفسهم مـــن الطاغيـــة فرعـــون، إلا أن القرآن قد سكت أيضاً عن الحديث عن زمن ذلك الخروج، فلا يوجد بين أيدينا أدلـــة يقينيـــة نستطيع من خلالها تحديد زمن ذلك الخروج لكي نبني عليه معرفتنا بزمن التيه، بل إن القرآن سكت عن تحديد زمن تلك الفترة من التاريخ بشكل كامل، فلم يذكر زمـــن ولادة موســـى ولا زمن بعثته أو وفاته، ولم يحدد تاريخ الفراعنة بشكل عام أو خاص، وكذلك سكت القرآن عن تحديد مقدار الزمن الذي أقامه بنو إسرائيل في أرض مصر، فالفترة ما بـــين دخـــول بنـــي إسرائيل مصر وخروجهم منها غير محدَّدة بتواريخ دقيقة تعتمد على أدلة صحيحة[١]، ويحاول المؤرخون وعلماء الآثار تحديد هذه الفترة بالسنوات فيذهبون إلى أن يوسف عليه السلام دخل مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد تقريباً، ويذهبون إلى أن موسى خـــرج مـــع بنـــي إسرائيل من أرض مصر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد في عهد الأسرة الحاكمة التاسعة، أي أن فترة مكوث بني إسرائيل في مصر كانت أربع قرون[٢]، إلا أن هذه التواريخ ليست ثابتة بنصوص معتمدة، وكذا نجد أن التوراة لا تحدد الزمن الذي وقع فيه التيـــه لبنـــي إســـرائيل، حيث تذكر التوراة أنَّ المدَّة التي أقامها بنو إسرائيل في أرض مصر من لدن يوســـف عليـــه السلام حتى خروجهم منها كانت بحسب سفر التكوين ٤٠٠ عام[٣]، وبحسب سفر الخروج ٤٣٠ عام[٤]، وهذه المعلومات لا نستطيع أن نجزم بدقتها في تحديد مدَّة إقامتهم في مـــصر، كـــون

---

[1] . القصص القرآني (٣/ ٧٢)، الخالدي بتصرف .

[2] . أنظر، قصص الأنبياء، ص (٢٠١– ٢٠٣)، عبد الوهاب النجار.

[3] . التكوين (١٣/١٥).

[4] . الخروج (١٢/ ٤٠).

التوراة هي المصدر الوحيد لهذه المعلومات، والتوراة نفسها تحمل تناقضات واسعة في هـذا المجال، ففي حين يذكر سفر التكوين أنَّ المدَّة ٤٠٠ عام يذكر سفر الخروج أنها كانـت ٤٣٠ عام، وعلى فرض صحة أحد هذه التواريخ فإنها تتناقض تناقضا شديدا مع تـواريخ أخـرى تفهم من نصوص التوراة[١]، وبذلك لا نستطيع تحديد تاريخ دقيق لخروج بني إسـرائيل مـن مصر من خلال نصوص التوراة حتى نحدد من خلاله زمن التيه الذي حصل لهم.

المطلب الثاني: أرض التيه.

لم يحدد القرآن الكريم الأرض التي تاه فيها بنو إسرائيل ولم يسمها لنا، وإنما عبَّـر عنهـا بلفظ الأرض، والمشهور أن التيه حصل في صحراء سيناء، ولكن أغلـب المفـسرين عنـد تفسيرهم لهذه الآيات والحديث عن الأرض التي تاه فيها بنو إسرائيل لم يركزوا على إسم تلك الأرض بشكل أساسي، وإنما انشغلوا بالحديث عن مسافة تلك الأرض التي تـاه فيـه بنـو إسرائيل، قال الطبري: لبثوا أربعين سنة في فراسخ ستّة، أو دون ذلك، يسيرون كـل يـوم جادِّين لكي يخرجوا منها، حتى سئموا ونزلوا[٢]، وقال الألوسي في تفـسيره وكانـت مـسافة الأرض التي تاهوا فيها ثلاثين فرسخاً في عرض تسعة فراسخ، كما قال مقاتل ، وقيل : اثني عشر فرسخاً في عرض ستة فراسخ ، وقيل : ستة في عرض تسعة ، وقيل : كـان طولهـا ثلاثين ميلاً في عرض ستة فراسخ [٣]، وقد ذكر البعض موضع التيه ومنهم ابن عطيـة فـي

[1] . انظر تفاصيل ذلك التناقض، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ١٩٢، موريس بوكاي .
[2] . جامع البيان (١٠/ ١٩٠)، الطبري .
[3] . روح المعاني (٦/ ١٠٩)، الألوسي .

تفسيره المحرر الوجيز فقال: أرض التيه ما بين مصر والشام[١]، وقد ذكر مقاتل أن موضع التيه بين فلسطين وإيلة ومصر[٢]، وممن أشار إلى موضع التيه من غير المفسرين ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، فقال مشيراً إلى موضع التيه: (هو الموضع الذي ضل فيه موسى بن عمران وقومه وهي أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم وجبال السراة من أرض الشام، والغالب على أرض التيه الرمال وفيها مواضع صلبة وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة يتصل حد من حدودها بالجفار وحد بجبل طور سيناء وحد بأرض بيت المقدس وما اتصل به من فلسطين وحد ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حد القلزم)[٣].

أما التوراة في حديثها عن أرض التيه فهي تذكر أسماءً لأماكن مختلفة يعتقد أن بني إسرائيل

مروا فيها خلال التيه ومن هذه الأماكن (البريَّة، القفر، قادش برنيع، وبرية سين، وغيرها)، أما (البريَّة) فتطلق على أرضٍ خربةٍ غير صالحة لشيء وقد تطلق أيضاً على أرض غير محروثة تصلح أن تكون مرعى جيداً للمواشي، وأشهرها برية سيناء التي تاه فيها بنو إسرائيل[٤]، و(القفر) يشترك مع البرية في المعنى فيشار بهذه اللفظة أحياناً كثيرة إلى كل أرض غير صالحة للفلاحة والزراعة، وقد يشار به إلى برية تيه بني إسرائيل[٥]، أما (قادش برنيع) وهي على مسيرة أحد عشر يوماً من حوريب (جبل سيناء) بسرعة سفر بني إسرائيل في تلك الأيام وفي اتجاه جبل سعير وعلى طريقه[٦]، فهي قريبة من سيناء نسبياً، و(برية سين) أول برية سيناء، وصل إليها العبرانيون بعد أن عبروا البحر الأحمر من ايليم إلى رفيديم،

---

1. المحرر الوجيز (٢/ ١٧٦)، إبن عطية المحاربي.
2. تفسير مقاتل (١ / ٢٩٣)، مقاتل بن سليمان الأزدي.
3. معجم البلدان (٢/ ٦٩)، ياقوت الحموي، بتصرف .
4. قاموس الكتاب المقدس ، حرف الباء / البرية .
5. قاموس الكتاب المقدس ، حرف القاف / القفر .
6. قاموس الكتاب المقدس ، حرف الحاء / حوريب .

وفيها أنزل الله المنَّ للمرة الأولى للشعب، ولعل مكانها اليوم (دبة الرملة) وهي كومة رمـــال عند سفح جبل التيه[1]، وعندما ننظر إلى تلك المسميات لتلك المناطق التي ذكرتها التوراة نجد أنَّ الجامع بينها أنها إما أن تكون جزءاً من سيناء مثل برية سين التي تعتبـــر أول صــــحراء سيناء، أو قريبة منها مثل قادش برنيع التي تبعد أياما عن سيناء، أو ينطبـــق معناهـــا علـــى صحراء سيناء مثل البرية والقفر التي تعني الأرض الخربة التي لا تصلح للزراعة وهذا مـــا ينطبق على صحراء سيناء في ذلك الزمن، وبالتالي نرى أن نصوص التوراة بمضمونها تدل على أنَّ التيه وقع في صحراء سيناء والله أعلـــم.

المطلب الثالث: مدَّة التيه.

يتفق الكتابان أن بني إسرائيل مكثوا في التيه أربعين عاماً، فقد ذكر الله ذلك فـــي ســـورة المائدة بقوله (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)[2]، والظاهر أن هذا العدد من سنين التيه له حكمة عند الله تعالى، وما ذلـــك إلا ليموت هذا الجيل الذي رفض الإنصياع لأمر الله تعالى بدخول الأرض المقدسة، وهذه المـــدة كافية لظهور جيلٍ جديد يعرف معنى العزة والكرامة، ولا يتقاعص عن تنفيذ أوامر الله تعالى، وبذلك يستحق النصر المظفر على الأعداء، ووراثة الأرض المباركة، وتذكر التوراة كذلك أن الله كتب على بني إسرائيل التيه أربعين عاماً في البرية، وليس هذا فحسب بل تزيد أن تـــذكر أن الله قد حكم على كل أبناء ذلك الجيل الذين بلغوا العشرين عاما من عمـــرهم أن يموتـــوا

[1] . قاموس الكتاب المقدس ، حرف السين / برية سين .

[2] . المائدة (٢٦) .

بالوباء التي لم تحدد التوراة طبيعته، (**حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَذَمِّرَةِ عَلَيَّ؟ قَدْ سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِي يَتَذَمَّرُونَهُ عَلَيَّ. قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ، لأَفْعَلَنَّ بِكُمْ كَمَا تَكَلَّمْتُمْ فِي أُذُنَيَّ. فِي هذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُثَثُكُمْ، جَمِيعُ الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ مِنِ ابْنِ عِشْرِينَ سَنَةً فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ. لَنْ تَدْخُلُوا الأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي لأُسْكِنَنَّكُمْ فِيهَا، مَا عَدَا كَالِبَ بْنَ يَفُنَّةَ وَيَشُوعَ بْنَ نُونٍ. وَأَمَّا أَطْفَالُكُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ يَكُونُونَ غَنِيمَةً فَإِنِّي سَأُدْخِلُهُمْ، فَيَعْرِفُونَ الأَرْضَ الَّتِي احْتَقَرْتُمُوهَا. فَجُثَثُكُمْ أَنْتُمْ تَسْقُطُ فِي هذَا الْقَفْرِ، وَبَنُوكُمْ يَكُونُونَ رُعَاةً فِي الْقَفْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَحْمِلُونَ فُجُورَكُمْ حَتَّى تَفْنَى جُثَثُكُمْ فِي الْقَفْرِ. كَعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتِي تَجَسَّسْتُمْ فِيهَا الأَرْضَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لِلسَّنَةِ يَوْمٌ. تَحْمِلُونَ ذُنُوبَكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً فَتَعْرِفُونَ ابْتِعَادِي. أَنَا الرَّبُّ قَدْ تَكَلَّمْتُ. لأَفْعَلَنَّ هذَا بِكُلِّ هذِهِ الْجَمَاعَةِ الشِّرِّيرَةِ الْمُتَّفِقَةِ عَلَيَّ. فِي هذَا الْقَفْرِ يَفْنَوْنَ، وَفِيهِ يَمُوتُونَ**)[1].

المطلب الرابع: عدد بني إسرائيل أثناء التيه.

لا يذكر القرآن الكريم ما يبين عدد بني إسرائيل أثناء التيه في صحراء سيناء، وذلك تمشياً مع الهدف من إيراد القصة في القرآن وهو الوقوف على مواطن العبر والعظات، والإبتعاد عن السرد التاريخي الذي يخرج بالقارئ عن هذا الهدف، ولكننا نجد في نصوص التوراة فوضى رقمية عند الحديث عن أعداد بني إسرائيل في التيه، ففي حين تذكر التوراة أن عدد الإسرائيليين من الرجال فقط والصالحين للقتال منهم كانوا مع موسى عليه السلام في الخروج

[1]. العدد (١٤: ٢٦- ٣٥) .

نحو ستمائة ألف رجل[1] وهذا غير الأولاد والنساء وكبار السن، وتذكر أن ثلاثة آلاف رجل من بني إسرائيل قد قتلوا على يد قومهم عقاباً لهم لعبادتهم العجل التي تقول التوراة أن هارون عليه السلام قد صنعه لهم[2]، وتذكر التوراة أيضاً أن أربعة عشر ألفاً وسبعمائة شخص من بني إسرائيل قد ماتوا بالوباء الذي أنزله الله ببني إسرائيل عقاباً لهم بعد تذمرهم من موسى وهارون عليهما السلام (**فَتَذَمَّرَ كُلُّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْغَدِ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلِينَ: «أَنْتُمَا قَدْ قَتَلْتُمَا شَعْبَ الرَّبِّ». وَلَمَّا اجْتَمَعَتِ الْجَمَاعَةُ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ انْصَرَفَا إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَإِذَا هِيَ قَدْ غَطَّتْهَا السَّحَابَةُ وَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ. فَجَاءَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى قُدَّامِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «اِطْلَعَا مِنْ وَسَطِ هذِهِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ بِلَحْظَةٍ». فَخَرَّا عَلَى وَجْهَيْهِمَا. ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «خُذِ الْمِجْمَرَةَ وَاجْعَلْ فِيهَا نَارًا مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَضَعْ بَخُورًا، وَاذْهَبْ بِهَا مُسْرِعًا إِلَى الْجَمَاعَةِ وَكَفِّرْ عَنْهُمْ، لأَنَّ السَّخَطَ قَدْ خَرَجَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. قَدِ ابْتَدَأَ الْوَبَأُ». فَأَخَذَ هَارُونُ كَمَا قَالَ مُوسَى، وَرَكَضَ إِلَى وَسَطِ الْجَمَاعَةِ، وَإِذَا الْوَبَأُ قَدِ ابْتَدَأَ فِي الشَّعْبِ. فَوَضَعَ الْبَخُورَ وَكَفَّرَ عَنِ الشَّعْبِ. وَوَقَفَ بَيْنَ الْمَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ. فَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَإِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَسَبْعَ مِئَةٍ، عَدَا الَّذِينَ مَاتُوا بِسَبَبِ قُورَحَ. ثُمَّ رَجَعَ هَارُونُ إِلَى مُوسَى إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَالْوَبَأُ قَدِ امْتَنَعَ**)[3]، وبعدما رفض بنو إسرائيل الطعام الذي كان ينزله الله لهم من السماء وشتموا موسى عليه السلام أرسل الله عليهم الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من بني إسرائيل[4]، وبعدما رفض بنو إسرائيل أمر الله بدخول الأرض التي وهبها لهم وقتال الأقوام التي تسكنها

---

[1] . الخروج (١٢/٣٧).

[2] . انظر سفر الخروج (٣٢: ١-٣٠).

[3] . العدد (١٦: ٤١-٥٠) .

[4] . انظر سفر العدد (٢١/ ٦).

تعهد الله لهم أن يهلكهم جميعا في البرية (**لأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلاَّ كَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ وَيَشُوعُ بْنُ نُونَ)**[1]، ثم تأتي التوراة لتقول أن عدد بني إسرائيل في نهاية التيه والذين عدهم موسى عليه السلام والكاهن العازار بن هارون بأمر الله في منطقة موآب قد بلغ ستمائة ألف وألف وسبعمائة وثلاثون شخصاً عدا بني لاوي وعدا النساء والأطفال لأنهم لم يعدوا إلا القادرين على حمل السلاح، ولم يكن من هؤلاء شخص واحد من الذين كانوا في سيناء لأن الرب كما تقول التوراة أهلكهم جميعا سوى رجلين، **(هؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَأَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ حِينَ عَدَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي عَرَبَاتِ مُوآبَ عَلَى أُرْدُنِّ أَرِيحَا. وَفِي هؤُلاَءِ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانٌ مِنَ الَّذِينَ عَدَّهُمْ مُوسَى وَهَارُونُ الْكَاهِنُ حِينَ عَدَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ فِي الْبَرِّيَّةِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلاَّ كَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ وَيَشُوعُ بْنُ نُونَ)**[2]، يقول الدكتور محمد البار معقباً على الأرقام التي توردها التوراة حول عدد الإسرائيليين أثناء فترة التيه:(والغريب حقاً أن يصل عدد المقاتلين من بني إسرائيل بعد كل هذا الإهلاك إلى ستمائة ألف وبضع مئات عدا بني لاوي لأنهم من الكهنة ... وعدا النساء والأطفال لأنهم لا يعدُّون إلا من كان قد بلغ عشرين سنة فما فوقها ... فإذا كان ستمائة ألف مقاتل قد ماتوا في التيه ومات غيرهم بالصعق والوباء فكيف يصل عددهم إلى ستمائة ألف مقاتل بعد أن فني آباؤهم في خلال أربعين سنة ؟ وكيف يقودهم يوشع بن نون مرة أخرى للقتال والإستيلاء على أريحا الأردن؟؟؟ ... وثم يتابع فيقول : وهي أعداد خرافية لا يمكن أن تعقل، وتصطدم مع بديهيات الأمور... ففي خلال فترة التيه مات من بني

---

[1] .العدد (٢٦/ ٦٥).

[2] . العدد (٢٦: ٦٣– ٦٥).

إسرائيل حسب ما ذكرته التوراة أكثر من مليون ومع هذا ترى جيشاً يقوده يوشع بن نون يبلغ تعداده أكثر من ستمائة ألف مقاتل[١] !!) .

المبحث الرابع: الأرض المقدسة في ظلال الحديث عن التيه.

المطلب الأول : الأرض التي أُمِرَ بنو إسرائيل بدخولها.

عندما تحدث القرآن الكريم عن أمر الله تعالى لبني إسرائيل بدخول الأرض المقدسة، سكت القرآن عن تسمية تلك الأرض أو بيان حدودها، وقد إكتفى القرآن بوصفها بأنها أرض مقدسة أي مطهرة مباركة وقيل إنها سميت بــ (الأرض المقدسة) لأنها مسكن الأنبياء عليهم السلام[٢]، وقد إختلف العلماء بالأرض المعنية في قوله (الأرض المقدسة) واختلفوا في بيان حدودها على أقوال عدة، وذكر تلك الأقوال الإمام الطبري في تفسيره فقال: إختلف أهل التأويل في الأرض التي عناها بــ (الأرض المقدسة) فقال بعضهم: عنى بذلك الطور وما حوله وينسب هذا القول إلى مجاهد، وقال قتادة : هي الشام، وقال ابن عباس والسدي هي أريحا (وهي من أرض بيت المقدس)[٣]، وهناك أقوال أخرى ذكرها الألوسي وهي قول الزجاج الذي قال أن الأرض المقدسة هي دمشق وفلسطين والأردن، وقول معاذ بن جبل وابن عساكر أنها ما بين الفرات وعريش مصر[٤]، وقد عقب على هذه الأقوال الطبري فقال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى صلى الله

---

1 . الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم ص(٢٣٠-٢٣١)، محمد علي البار .
2 . روح المعاني (٦ / ١٠٦)، الألوسي .
3 . جامع البيان (١٠ / ١٦٧)، الطبري .
4 . روح المعاني (٦ / ١٠٦)، الألوسي .

عليه، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالإخبار على ذلك[1].

وعند النظر في نصوص التوراة لمعرفة الأرض التي أُمِرَ بنو إسرائيل بدخولها وقتال سكانها فإننا نجد نصوصاً متعددة تشير إلى تلك الأرض، وهذه النصوص بعضها واضح الدلالة على تلك الأرض وبعضها بحاجة إلى بيان وتوضيح ضمن سياق النصوص الأخرى، ولذلك أضع بين يدي القارئ جملة من التوضيحات حتى لا يقع في اللبس والتشتت بسبب ضبابية تلك النصوص.

أولاً: تركز التوراة في الكثير من نصوصها على بيان الهدف من الخروج من مصر وهو إخراج بني إسرائيل من العبودية للمصريين وليس هذا فحسب بل إطلاق أيديهم على أرض غيرهم وإحتلالها ومحاربة سكانها حتى يخرجوا منها، (**ثُمَّ قَالَ الرب لموسى: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ فَقَالَ الرَّبُّ: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ. وَالآنَ هُوَذَا صُرَاخُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَتَى إِلَيَّ، وَرَأَيْتُ أَيْضًا**

[1] . جامع البيان (١٠ / ١٦٨)، الطبري .

الضِّيقَةَ الَّتِي يُضَايِقُهُمْ بِهَا الْمِصْرِيُّونَ، فَالآنَ هَلُمَّ فَأُرْسِلُكَ إِلَى فِرْعَوْنَ، وَتُخْرِجُ شَعْبِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ»)[1]. وهذه الأرض المقصودة تشمل أرض فلسطين وما جاورها.

ثانياً: في مواضع أخرى تذكر التوراة أرض فلسطين صراحة على أنها الأرض التي قصد الرب أن يرسل إليها بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر لولا أنه خشي عليهم الخوف التردد من دخول تلك الأرض بعد أن يشاهدوا أهلها الأشداء في حربهم والأعزاء بقوتهم، **(وَكَانَ لَمَّا أَطْلَقَ فِرْعَوْنُ الشَّعْبَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَهْدِهِمْ فِي طَرِيقِ أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ مَعَ أَنَّهَا قَرِيبَةٌ، لأَنَّ اللهَ قَالَ: «لِئَلاَّ يَنْدَمَ الشَّعْبُ إِذَا رَأَوْا حَرْبًا وَيَرْجِعُوا إِلَى مِصْرَ». فَأَدَارَ اللهُ الشَّعْبَ فِي طَرِيقِ بَرِّيَّةِ بَحْرِ سُوفٍ. وَصَعِدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُتَجَهِّزِينَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ)**[2].

ثالثاً: تذكر التوراة أن موسى عليه السلام أرسل بأمر من الرب إثني عشر رجلاً من بني إسرائيل ليتجسسوا على أرض كنعان وعلى أهلها ويأتوه بخبرها ليسهل عليهم دخولها **(ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَرْسِلْ رِجَالاً لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلاً وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ». فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةِ فَارَانَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ)**[3].

رابعاً: تحدد التوراة أرض كنعان وتخومها بدقة ضمن ارض الميعاد التي أعطى الله لإبراهيم

عليه السلام ونسله من ولده إسحاق دون ولده إسماعيل عليهما السلام في أكثر من موضع وتبين حدودها من مختلف الإتجاهات الأربعة **(وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ**

---

[1]. الخروج (٣: ٦-١٠) .
[2]. الخروج (١٣: ١٧-١٨) .
[3]. العدد (١٣ : ١- ٣) .

وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا. أَرْضُ كَنْعَانَ بِتُخُومِهَا: تَكُونُ لَكُمْ نَاحِيَةُ الْجَنُوبِ مِنْ بَرِّيَّةِ صِينَ عَلَى جَانِبِ أَدُومَ، وَيَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الْجَنُوبِ مِنْ طَرَفِ بَحْرِ الْمِلْحِ إِلَى الشَّرْقِ، وَيَدُورُ لَكُمُ التَّخْمُ مِنْ جَنُوبِ عَقَبَةِ عَقْرِبِّيمَ، وَيَعْبُرُ إِلَى صِينَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ مِنْ جَنُوبِ قَادَشَ بَرْنِيعَ، وَيَخْرُجُ إِلَى حَصَرَ أَدَّارَ، وَيَعْبُرُ إِلَى عَصْمُونَ. ثُمَّ يَدُورُ التَّخْمُ مِنْ عَصْمُونَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ. وَأَمَّا تُخْمُ الْغَرْبِ فَيَكُونُ الْبَحْرُ الْكَبِيرُ لَكُمْ تُخْمًا. هذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الْغَرْبِ. وَهذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ. مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ تَرْسُمُونَ لَكُمْ إِلَى جَبَلِ هُورَ. وَمِنْ جَبَلِ هُورَ تَرْسُمُونَ إِلَى مَدْخَلِ حَمَاةَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُ التَّخْمِ إِلَى صَدَدَ. ثُمَّ يَخْرُجُ التَّخْمُ إِلَى زِفْرُونَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ حَصَرِ عِينَانَ. هذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ. وَتَرْسُمُونَ لَكُمْ تَخْمًا إِلَى الشَّرْقِ مِنْ حَصَرِ عِينَانَ إِلَى شَفَامَ. وَيَنْحَدِرُ التَّخْمُ مِنْ شَفَامَ إِلَى رِبْلَةَ شَرْقِيَّ عَيْنٍ. ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ وَيَمَسُّ جَانِبَ بَحْرِ كِنَّارَةَ إِلَى الشَّرْقِ. ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ إِلَى الأُرْدُنِّ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ بَحْرِ الْمِلْحِ. هذِهِ تَكُونُ لَكُمُ الأَرْضُ بِتُخُومِهَا حَوَالَيْهَا»)[1]. وقد ذكرت التوراة حدود أرض الميعاد بشكل عام دون تفصيلٍ في مواطن أخرى (فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ أَبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلاً: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ)[2]، (وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!». فَقَالَ اللهُ: «بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ مِنْ بَعْدِهِ. وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًّا. اِثْنَيْ عَشَرَ رَئِيسًا يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. وَلكِنْ عَهْدِي

---

[1]. العدد (٣٤ : ١- ١٢) .

[2]. التكوين (١٥ / ١٨) .

أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِي تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِي هذَا الْوَقْتِ فِي السَّنَةِ الآتِيَةِ»)[1]، وهذا مـــا يعــرف بأرض إسرائيل الكبرى أو أرض الميعاد وهي من النيل إلى الفرات.

خامساً: بالنسبة لأرض كنعان فهي الأرض التي سكنتها ذرية كنعان وقــد اســتولى عليهـــا العبرانيون فيما بعد وكانت حدودها الأصلية من مدخل حماة إلى الــشمال وباديـــة ســـورية والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب، وبعـــد أن افتتح العبرانيون أرض كنعان أطلق عليها اســـم أرض إســـرائيل والأرض المقدســـة وأرض الموعد وأرض العبرانيين نسبة إلى عابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام أما إسم فلسطين فقد كان يطلق في الأصل على الساحل الذي كان يقطنه الفلسطينيون إلا أنه يقصد به الآن ما كان يقصد بأرض كنعان[2]، وهذا ما يذكره مفسرو الكتاب المقدس في تعريفاتهم لأرض كنعان.

سادساً: وفي مواضع أخرى تذكر التوراة أن أرض كنعان هي الأرض التي وعد الرب بهـــا نسل إبراهيم، حسبما جاء في سفر التكوين، وكان على اليهود أن يخوضوا معـــارك ضـــارية ضد الكنعانيين ليستوطنوها، فقد ورد في أحد أسفار العهد القديم (**و كلَّم الرب موسى... قائلاً كلّم بني إسرائيل وقل لهم إنكم عابرون الأرض إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المـــسبوكة وتخربـــون جميـــع مرتفعاتهم. تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنـــي قـــد أعطيـــتكم الأرض لكـــي تملكوهـــا، وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم... وإن لم تطردوا سكان الأرض مـــن أمـــامكم**

---

[1] . التكوين (١٧: ١٨– ٢١) .

[2] . قاموس الكتاب المقدس ، حرف الكاف / كنعان .

يكون الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم »)[1].

سابعاً: عندما تحدثت التوراة عن موت موسى عليه السلام في سفر التثنية يلاحظ القارئ أن الرب كما تزعم التوراة قضى على موسى الموت دون دخول الأرض المقدسة التي كتبها لبني إسرائيل ميراثاً أبدياً، ولكن يكفي موسى عليه السلام أن ينظر إلى تلك الأرض قبل موته لكي يموت في حسرة وندامة جزاءً وفاقاً لأنه خان الرب في وسط بني إسرائيل مع أخيه هارون عليه السلام !!!، وتحدد التوراة المكان الذي مات فيه موسى عليه السلام وهو نفس المكان الذي نظر من خلاله في لحظاته الأخيرة إلى الأرض التي كان يتمنى دخولها طيلة حياته عليه السلام، وتحدد المنطقة التي دفن فيها بشكل عام دون تحديدٍ لمكان قبره على وجه الخصوص، تقول التوراة في وصف تلك اللحظات: (**وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي نَفْسِ ذلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: «اِصْعَدْ إِلَى جَبَلِ عَبَارِيمَ هذَا، جَبَلِ نَبُو الَّذِي فِي أَرْضِ مُوآبَ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، وَانْظُرْ أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مُلْكًا، وَمُتْ فِي الْجَبَلِ الَّذِي تَصْعَدُ إِلَيْهِ، وَانْضَمَّ إِلَى قَوْمِكَ، كَمَا مَاتَ هَارُونُ أَخُوكَ فِي جَبَلِ هُورٍ وَضُمَّ إِلَى قَوْمِهِ. لأَنَّكُمَا خُنْتُمَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عِنْدَ مَاءِ مَرِيبَةِ قَادَشَ فِي بَرِّيَّةِ صِينٍ، إِذْ لَمْ تُقَدِّسَانِي فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَإِنَّكَ تَنْظُرُ الأَرْضَ مِنْ قُبَالَتِهَا، وَلكِنَّكَ لاَ تَدْخُلُ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ»)**[2]. وفي موضع آخر (**وَصَعِدَ مُوسَى مِنْ عَرَبَاتِ مُوآبَ إِلَى جَبَلِ نَبُو، إِلَى رَأْسِ الْفِسْجَةِ الَّذِي قُبَالَةَ أَرِيحَا، فَأَرَاهُ الرَّبُّ جَمِيعَ الأَرْضِ مِنْ جِلْعَادَ إِلَى دَانَ، وَجَمِيعَ نَفْتَالِي وَأَرْضَ أَفْرَايِمَ وَمَنَسَّى، وَجَمِيعَ أَرْضِ يَهُوذَا إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ، وَالْجَنُوبَ وَالدَّائِرَةَ بُقْعَةَ أَرِيحَا مَدِينَةِ النَّخْلِ، إِلَى**

---

[1]. العدد (٣٣: ٥٠- ٥٦) .

[2]. التثنية (٣٢: ٤٨- ٥٢) .

صُوغَرَ. وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. قَدْ أَرَيْتُكَ إِيَّاهَا بِعَيْنَيْكَ، وَلكِنَّكَ إِلَى هُنَاكَ لاَ تَعْبُرُ». فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ)[1]. ومن خلال هذه النصوص التوراتية يستطيع القارئ أن يصل إلى نتيجة مفادها أن الأرض المقدسة التي أُمِرَ بنو إسرائيل بدخولها وقتال سكانها تقع ضمناً في أرض الميعاد، وهي الأرض التي تقع حسب نصوص التوراة ما بين النيل والفرات، وهذه الأرض المقدسة جزء من أرض كنعان التي تشكل فلسطين قسماً منها، والأرض المقدسة تقع في فلسطين وهذا ما تؤكده النصوص التوراتية التي جاء الحديث فيها عن موت موسى عليه السلام، فقد صعد إلى جبل عباريم ومن ثم إلى قمة جبل نبو أحد جبال سلسلة عباريم، وشاهد أرض فلسطين من ذلك المكان، والمدينة الفلسطينية التي تقابل قمة نبو هي مدينة أريحا، وهي أقدم مدينة في العالم وتقع غربي نهر الأردن، وقد نصت التوراة أن موسى عليه السلام شاهد أريحا قبل موته كجزء من الأرض المقدسة التي منع من دخولها لسخط الله عليه، وكانت مدينة أريحا المدينة التي دخلها الإسرائيليون بقيادة يوشع بن نون بعد موت موسى عليه السلام، وكان يوشع قد أرسل رجلين إلى أريحا ليأتوه بخبرها تمهيداً لدخولها، ومن ثم دخلها يوشع وبنو إسرائيل وقتلوا كل من فيها سوى راحاب الزانية وأهلها لأنهم كانوا قد أعطوها الأمان من قبل، وكان دخول أريحا مقدمة لدخول بقية أرض فلسطين[2]، وعلى هذا تكون أريحا حسب نصوص التوراة الأرض التي أمر الله بني إسرائيل بدخولها كمحطة أولى لدخول بقية الأرض المقدسة ولكنهم رفضوا الأمر فاستحقوا التيه والله أعلم،

---

[1] . التثنية (٣٤: ١- ٦).
[2] .أنظر سفر يشوع (١: ١- ٥)، و (٢: ١- ١٤).

ويذكر الدكتور محمد علي البار أن الأرض المقدسة التي أُمِرَ بنو إسرائيل بـدخولها حسب نصوص التوراة هي أريحا الأردن[1]، وهي التي تقع غربي نهر الأردن والله أعلم.

المطلب الثاني: حجة بني إسرائيل في رفضهم دخول الأرض المقدسة.

ذكر القرآن الكريم حجة بني إسرائيل الواهية والتي أجابوا بها رسول الله موسى عليه السلام بعد أن طلب منهم دخول الأرض المقدسة، تلك الحجة التي دفعتهم إلى رفض أمر الله لهم بدخول الأرض المقدسة، وهي أن سكان تلك الأرض قومٌ جبارون، قال تعالى على لسانهم: (قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ)[2] ، وأصل الجبار كما قال الطبري في تفسيره المصلح أمر نفسه وأمر غيره، ثم استعمل في كل من اجترَّ نفعاً إلى نفسه بحق أو باطلٍ طلبَ الإصلاح لها، حتى قيل للمتعدِّي إلى ما ليس له بغيًا على الناس، وقهرًا لهم[3]، فقد جبنوا وخافوا من قتال سكان الأرض المقدسة، وكانت تلك الحجة نابعةً من صفة الجبن التي كانت تلازمهم ولا تنفك عنهم أينما حلوا وارتحلوا، وهذه الصفة التي جعلت منهم في الماضي عبيداً أذلاء عند فرعون وقومه المصريين، كما ونجد هذه الحجة واضحة من خلال نصوص التوراة التي تذكر أن عشرة نقباء من أصل إثني عشر نقيباً أرسلهم موسى عليه السلام ليتجسسوا على أهل تلك الأرض ويأتوه بخبرها تمهيداً لدخولها إحتجوا أنهم لن يستطيعوا دخول تلك الأرض وقتال

---

[1] . الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام ص(٢٥٣)، لمحمد البار.

[2] .المائدة (٢٢) .

[3] . جامع البيان (١٠/ ١٧٢)، الطبري .

سكانها لأنهم أشد منهم قوة وجبروتاً، وما ذلك إلا لجبنهم وخوفهم من الموت وإن كان ذلــك الموت حياة في سبيل الله تعالى (**وَأَمَّا الرِّجَالُ الَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ فَقَالُوا: «لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَــصْعَدَ إِلَى الشَّعْبِ، لأَنَّهُمْ أَشَدُّ مِنَّا». فَأَشَاعُوا مَذَمَّةَ الأَرْضِ الَّتِي تَجَسَّسُوهَا، فِــي بَنِــي إِسْــرَائِيلَ قَائِلِينَ: «الأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّــذِي رَأَيْنَا فِيهَا أُنَاسٌ طِوَالُ الْقَامَةِ. وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاق مِنَ الْجَبَابِرَةِ. فَكُنَّــا فِــي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهكَذَا كُنَّا فِي أَعْيُنِهِمْ»**)[1].

المطلب الثالث: القوم الجبابرة ووصفهم في الكتابين.

لم يذكر القرآن الكريم شيئاً عن القوم الذين كانوا يسكنون الأرض المقدسة إلا ما جاء وصــفاً لهم على لسان بني إسرائيل الذين أُمِروا بدخول أرضهم وقتالهم حين قالوا لموسى عليه السلام (إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)[2]، فلم يبين لنا القرآن من يكون هؤلاء القوم، ولم يذكر تفاصيل عــن شدتهم وقوتهم وأوصاف أجسامهم، ولا يستدعي وصف بني إسرائيل لهم بأنهم قومٌ جبــارون أن يكون هذا الوصف دقيقاً، فهذا محتمل، فقد تكون هذه الصفة مختلقة من بني إسرائيل الذين جبلت نفوسهم على الجبن والخوف لتكون ذريعة لهم للقعود عن القتال وتحمــل المــسؤولية وخوض الصعاب، وهذا الإحتمال تشهد له الكثير من المواقف التي حكاها لنــا القــرآن مــن تاريخ بني إسرائيل خصوصاً مع كليمه موسى عليه السلام، فقد أخرجهم الله على يديــه مــن مصر وأنجاهم من فرعون وخلصهم من العبودية لغير الله، وفلق لهم البحر فساروا بلا خوف

---

[1]. العدد (١٣: ٣١- ٣٣) .

[2]. المائدة (٢٢) .

إلى الجهة الأخرى من اليابسة، وبعد كل ذلك وما أن جاوزوا البحر حتى طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة تعبد من دون الله (وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ)[1]،

فهل يا ترى من تميل نفسه إلى الشرك يستبعد عنه الكذب !!!.

والناظر في بعض التفاسير يجد أن بعض المفسرين نقلوا الكثير من الأوصاف المبالغ فيها حول طبيعة هؤلاء القوم وضخامة أجسامهم وشدتها، وابن كثير رحمه الله ينقل لنا بعض هذه المبالغات التي هي من وضع بني إسرائيل، ومنها ما رواه ابن أبي حاتم، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (لما نزل موسى وقومه، بعث منهم اثني عشر رجلا وهم النقباء الذين ذكر الله، فبعثهم ليأتوه بخبرهم، فساروا، فلقيهم رجل من الجبارين، فجعلهم في كسائه، فحملهم حتى أتى بهم المدينة، ونادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى، بعثنا نأتيه بخبركم. فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل، فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: اقدروا قَدْر فاكهتهم فلما أتوهم قالوا: يا موسى (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُون) ، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا يحيى بن أيوب عن يزيد بن الهاد، حدثني يحيى بن عبد الرحمن قال: رأيت أنس بن مالك أخذ عصا، فذرع فيها بشيء، لا أدري كم ذرع، ثم قاس بها في الأرض خمسين أو خمسا وخمسين، ثم قال: هكذا طول العماليق[2]، ثم عقب ابن كثير على ذلك بقوله : (وهذا شيء يستحى من ذكره. ثم هو مخالف لما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

---

[1] . الأعراف (١٣٨) .

[2]. تفسير القرآن العظيم (٢ / ٧٦)، ابن كثير .

"إن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعًا، ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن[1]) إنتهى كلامه[2]، وقد عقب الشوكاني رحمه الله على مثل هذه المبالغات بشدة فقال: (لم يأت في أمر هذا الرجل (عوج بن عنق) ومثله من أبناء قومه ما يقتضي تطويل الكلام في شأنهم، ما هذه بأوّل كذبة اشتهرت في الناس، ولسنا ملزمين بدفع الأكاذيب التي وضعها القصاص، ونفقت عند من لا يميز بين الصحيح والسقيم، فكم في بطون دفاتر التفاسير من أكاذيب وبلايا، وأقاصيص كلها حديث خرافة، وما أحق من لا تمييز عنده لفنّ الرواية ولا معرفة به أن يدع التعرّض لتفسير كتاب الله، ويضع هذه الحماقات والأضحوكات في المواضع المناسبة لها، من كتب القصاص)[3].

أقول: الخير كل الخير في السكوت عما سكت عنه القرآن الكريم فلو كان في التفصيل خير لهذه الأمة لما سكت القرآن عنه والله أعلم.

أما التوراة فتذكر لنا أسماء الأقوام الذين كانون يسكنون الأرض المقدسة التي أمرهم الله بدخولها وهم بنوعناق الذين كانوا يسمون بالعمالقة، وتقول التوراة أنهم كانوا يسكنون الجنوب، وعلى إعتبار كلام التوراة أن أرض فلسطين والتي تقع ضمنها أريحا هي الأرض التي أمِرَ بنو إسرائيل بدخولها، يكون هؤلاء العمالقة قد سكنوا ما بين القدس والخليل على إعتبار أن هاتين المدينتين في جنوب فلسطين أو في منطقة النقب التي تقع في الجنوب أيضاً، وهذا ما أكده شارحو نصوص التوراة[4]، وكذلك تذكر التوراة الحثيين واليبوسيين والأموريين

---

[1] . رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٣٢٦) ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] . تفسير القرآن العظيم (٢ / ٧٦)، ابن كثير .

[3] . فتح القدير (٢٧/٢)، الشوكاني ، بتصرف.

[4] . قاموس الكتاب المقدس ، حرف الحاء / الحث .

الذين تقول التوراة انه كانون يسكنون الجبل، وقد سكن الأموريون جنوبي فلسطين وشـواطئ البحر الميت، واليبوسيون كانت حاضرتهم هي مدينة القدس، أما الحيثون فإنهم من الـشعوب الآرية ولكن جماعات منهم استوطنت في بعض قرى فلسطين، ولا تزال بعض المدن تحمـل أسماءهم إلى يومنا هذا، وتشير التوراة إلى أن الحيثيين كانوا موجودين في حبرون (الخليـل) في فلسطين في زمن إبراهيم عليه السلام الذي اشترى حقله ومغارته مـن (بنـي حـث)[1]، وذكرت أيضاً الكنعانيين الذين كانوا يسكنون على الساحل وعلى جانب الأردن، (**وَأَيْضًا قَـدْ رَأَيْنَا بَنِي عَنَاقَ هُنَاكَ. الْعَمَالِقَةُ سَـاكِنُونَ فِـي أَرْضِ الْجَنُـوبِ، وَالْحِثِّيُّـونَ وَالْيَبُوسِـيُّونَ وَالأَمُورِيُّونَ سَاكِنُونَ فِي الْجَبَلِ، وَالْكَنْعَانِيُّونَ سَاكِنُونَ عِنْدَ الْبَحْرِ وَعَلَى جَانِـبِ الأُرْدُنِّ».**)[2]، وتذكر التوراة أيضاً في هذا المقام صفاتاً لهؤلاء الأقوام ومنها صفات معنويـة كـالإعتزاز بالنفس والثقة العالية التي تنم عن قوة وجبروت، وهذا مـا دعـى الإسـرائيليين لوصـفهم بالجبابرة، وبعض تلك الصفات صفات مادية (جسدية)، فهم طوال القامة مما دفعهم لتسميتهم بالعمالقة، وحتى أن الجواسيس الذين أرسلهم موسى عليه السلام قد وصفوا أنفـسهم عنـدما شاهدوا العمالقة بأنهم كالجراد أمامهم، تقول التوراة على لسان الجواسيس (**الأَرْضُ الَّتِي مَرَرْنَا فِيهَا لِنَتَجَسَّسَهَا هِيَ أَرْضٌ تَأْكُلُ سُكَّانَهَا، وَجَمِيعُ الشَّعْبِ الَّذِي رَأَيْنَا فِيهَا أُنَاسٌ طِوَالُ الْقَامَـةِ. وَقَدْ رَأَيْنَا هُنَاكَ الْجَبَابِرَةَ، بَنِي عَنَاق مِنَ الْجَبَابِرَةِ. فَكُنَّا فِي أَعْيُنِنَا كَالْجَرَادِ، وَهكَذَا كُنَّـا فِـي أَعْيُنِهِمْ**)[3].

---

[1] . أنظر سفر التكوين (٢٣: ١-١٣).
[2] . العدد (١٣: ٢٨- ٢٩) .
[3] . العدد (١٣: ٣٢- ٣٣) .

المطلب الرابع: كتابة الأرض المقدسة لبني إسرائيل.

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنه كتب الأرض المقدسة لبني إسرائيل، فقال عز من قائل على لسان موسى عليه السلام (يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ)[1]، وقد إختلف العلماء في معنى (كتب لكم) الواردة في الآية، قال ابن إسحاق: كتب الله لكم بمعنى التي وهب الله لكم، وقال السدي: "ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم"، أي التي أمركم الله بها، أي أمركم الله بدخولها وقتال سكانها[2]، وقال ابن كثير: وقوله تعالى: (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) أي التي وعدكموها الله على لسان أبيكم إسرائيل (يعقوب عليه السلام) أنه ورَّثها من آمن منكم[3]، وقال الألوسي: أي قدَّرها وقسَّمها لكم، أو كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكناً لكم[4]، وحتى يتبين للقارئ المعنى المراد من (كتب لكم) لا بد أن نذكر بعض النقاط حول هذه المسالة والتي ذكرها المفسر الشربيني في تفسيره السراج المنير، وهي على النحو الآتي:

أولاً: قال ابن عباس: إنها كانت هبة لهم ثم حرّمها الله عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم.

أقول: وهذا واضح للقارئ من خلال الآيات السابقة فهم لم يستجيبوا لأمر الله بدخول الأرض فحرمهم الله منها.

---

[1]. المائدة (٢١) .

[2]. جامع البيان (١٠/ ١٧٠)، الطبري .

[3]. تفسير القرآن العظيم (٢ / ٧٥)، ابن كثير .

[4]. روح المعاني (٦ / ١٠٦)، الألوسي .

ثانياً: اللفظ وإن كان عاماً لكن المراد به الخصوص فكأنها كتبت لبعضهم وحرّمت على بعضهم.

ثالثا: إنَّ الوعد بقوله تعالى: (كتب الله لكم) مشروط بقيد الطاعة فلمَّا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط . أقول : ولهذا نُبِّه بنو إسرائيل على هذا الشرط بقوله تعالى (وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ)[1].

رابعاً: إنها حرّمت عليهم أربعين سنة فلما مضت الأربعون حصل ما كتب لهم من دخول الأرض المقدسة[2].

ويذكر الدكتور صلاح الخالدي كلاماً جميلاً حول المعنى المراد من الآية فقال: إنَّ الله كتب لهم الأرض المقدسة كتابة إيمانية لفترة زمنية محددة، وما حصل بعد ذلك أنهم كفروا وجحدوا نعمة الله عليهم وخالفوا أمره وعصوا رسله ففقدوا حقهم في الأرض المقدسة، وقد اخرج الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أمة الخلافة والرسالة والشهادة حتى قيام الساعة، فصارت هي الوارثة للأرض المقدسة تحقيقاً لقول الله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ)[3]، وقد كتب الله تلك الأرض لذلك الجيل المؤمن بالله تعالى وبنبيه موسى عليه السلام، وذلك تكريم من الله على إيمانهم على ما كان فيه من خلخلة وضعف وسط أقوام من الكافرين كالفراعنة والكنعانيين وغيرهم، وبسبب خاصية

---

[1] . المائدة (٢١) .

[2] . السراج المنير (١/ ٤٢٢)، محمد بن أحمد الشربيني .

[3] . الأنبياء (١٠٥) .

الإيمان فقد كتب الله لهم هذه الأرض، فلمَّا فقدوا هذه الخاصية فقدوا حقهم في هذه الأرض وانتقلت إلى من هم خير منهم في الإيمان والتقوى[1]، أقول: وفي ذلك رد على من يزعم أن أرض فلسطين ملكٌ لليهود إلى الأبد فهذا القول مردود ويناقض سنة الله في عباده فالله لا يكافئ من عصاه بأن يورثه الأرض، وأي أرض تلك !! الأرض المقدسة، والتي تقع ضمن بلاد الشام، وهي خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده[2].

أما التوراة فتذكر أن الرب قد أعطى أرض كنعان والتي تقع ضمنها الأرض المقدسة لبني إسرائيل وهم نسل إبراهيم عليه السلام _ والذي كان يدعى حسب التوراة (إبرام) _ من إبنه إسحاق عليه السلام ميراثاً أبدياً، وعلى هذا يدعي اليهود اليوم أن أرض فلسطين ارضٌ يهوديةٌ إلى الأبد لا ينازعهم فيها أحد وهي لهم دون غيرهم من الأمم والشعوب، وتذكر التوراة أن الله أمر إبراهيم عليه السلام أن يخرج من أرضه ويذهب إلى الأرض التي أمره بالذهاب إليها وهي (أرض كنعان) ليعطيها له ولنسله من ولده إسحاق عليه السلام من بعده (**وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ». فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ**

[1] . القصص القرآني (٣ / ٢٧٥ وما بعدها)، الخالدي ، بتصرف .

[2] . صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داوود من طريق ابن حوالة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق " . فقال ابن حوالة : خر لي يا رسول الله . إن أدركت ذلك . فقال : " عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله " صححه الألباني في مشكاة المصابيح للتبريزي (٢/ ٣٦٨) .

مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. وَاجْتَازَ أَبْرَامُ فِي الأَرْضِ إِلَى مَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُّوطَةِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ. وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيل وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ)[1] وفي موضع آخر تبين التوراة أن هذا الأرض لبني إسرائيل وإلى الأبد (**وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ. وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ، حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ. قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ طُولَهَا وَعَرْضَهَا، لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا». فَنَقَلَ أَبْرَامُ خِيَامَهُ وَأَتَى وَأَقَامَ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ**[2]**،وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ**)[3]. ولا تذكر التوراة شروطاً يجب على بني إسرائيل أن يلتزموا بها مقابل أن تكون لهم هذه الأرض المقدسة، فهذه الأرض كما يزعمون كتبت لهم وللأبد مهما فعلوا أو بدلوا أو غيروا أو عبدوا الأوثان من دون الله كما حصل عندما عبدوا العجل، والعهد لا يتضمن أنهم يفعلون الخير ويدعون الناس إلى الخير وإلى عبادة الله وحده[4]، ونلاحظ أن التوراة تبرز إهتماماً كبيرا بقضية الختان وتصورها على أنها من متطلبات العهد بين الرب وبين بني إسرائيل، فما داموا محافظين عليه يحفظ الله لهم حقهم في الأرض المقدسة، وتهون بعد ذلك كل الذنوب والمصائب التي إرتكبها بنو إسرائيل في حق الله وأنبيائه

---

1. التكوين (١٢: ١- ٨) .
2. حبرون : تعرف الآن بمدينة الخليل في الضفة الغربية في فلسطين .
3. التكوين (١٣: ١٤- ١٧) .
4. الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم ص٨٠، محمد علي البار.

عليهم السلام (**وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيم: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظُ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. اِبْنَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَأَمَّا الذَّكَرُ الأَغْلَفُ الَّذِي لاَ يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي»**)[1]، وهذا النص يأتي في سياق الحديث عن وعد الله لإبراهيم عليه السلام أن يعطيه أرض كنعان له ولنسله من ولده إسحاق عليه السلام، كما ونجد وعد الرب لإبراهيم عليه السلام يتكرر من جديد إلى إسحاق عليه السلام لكن في شكل آخر أكثر تحديداً وكان ذلك بعد حدوث المجاعة التي انتشرت في المنطقة في ذلك العهد ووجد بنو إسرائيل أن فلسطين أرض خصبة فأرادوا الإستيلاء عليها (**وَكَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ. وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي». فَأَقَامَ إِسْحَاقُ فِي جَرَارَ**)[2]، ومرةً أخرى يكرر الرب نفس الوعد إلى يعقوب عليه السلام، فقد ظهر الرب كما تقول التوراة ليعقوب عليه السلام وأكد له على الوعد الذي أبرمه مع إبراهيم

---

[1]. التكوين (١٧: ٩- ١٤) .

[2]. التكوين (٢٦: ١- ٦) .

وإسحاق عليهما السلام، وأخبره أنه إختار له إسماً غير يعقوب وهو إسرائيل (**وَظَهَرَ اللهُ لِيَعْقُوبَ أَيْضًا حِينَ جَاءَ مِنْ فَدَّانَ أَرَامَ وَبَارَكَهُ. وَقَالَ لَهُ اللهُ: «اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ». فَدَعَا اسْمَهُ «إِسْرَائِيلَ». وَقَالَ لَهُ اللهُ: «أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ»**)[1]، وتذكر التوراة أن الرب قد أكد هذا الوعد لموسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل عندما أخبرهم أنه يريد أن يخرجهم من أرض مصر ويخلصهم من العبودية للفراعنة الظالمين، تقول التوراة: (**ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي «يَهْوَهْ» فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ. وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمِ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا. وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ، وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي. لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ. وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ»**)[2].

---

[1]. التكوين (٣٥: ٩- ١٢) .

[2]. الخروج (٦: ٢- ٨) .

المطلب الخامس : الحديث عن النقباء الإثني عشر .

النقيب في لغة العرب كالعريف على القوم غير أنه فوق العريف في المنزلة ، يقال فيـــه : نقب فلان على بني فلان فهو ينقب نقباً فإذا أريد انه لم يكن نقيباً صار نقيباً[1]، والجمع نقبـــاء والنقيب: العريف وهو الشاهد على القوم وضمينهم، وفي التنزيل (وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)[2] ، قال أبو إسحاق : النقيب في اللغة كالأمين والكفيل[3]، وقد ذكر الطبري في تفسيره أقوالاً في معنى النقيب فقال : قال بعضهم هو الشاهد على قومه وقال آخرون النقيب هو الأمين [4] ، وقد ذكر الله سبحانه في كتابه أنه قطع بمعنى (فـــرّق) بني إسرائيل إلى إثنتي عشرة فرقة فقال عز من قائل (وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ) [5]، وفي سورة المائدة ذكر الله أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل وعلى رأسهم النقباء الإثني عشر ، والظاهر أن النقباء كانوا يقفون على أحوال أقوامهم وجماعاتهم (وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)[6]،

---

1. جامع البيان (١٠/ ١١٠) ، الطبري .
2. المائدة (١٢) .
3. لسان العرب (١/ ٧٦٥) ، إبن منظور .
4. جامع البيان (١٠/ ١١١) ، الطبري .
5. الأعراف (١٦٠) .
6. المائدة (١٢) .

وعند النظر في الآيات التي تحدثت عن الأمر بدخول الأرض المقدسة والآيات التي تحـــدثت عن تيه بني إسرائيل نجد أن تلك الآيات لم تتعرض لمهمة النقباء بشكل تفـــصيلي ، والـــذي يظهر من خلال السياق أنهم كانوا كفلاء على وشهود على أقوامهم ويقومون بمهمات التعلـــيم والتوجيه، ولم يذكر القرآن الكريم تفاصيل أخرى عن النقباء، فلم يذكر أسماءهم وما آل إليـــه مصيرهم بعد نكوص بني إسرائيل عن دخول الأرض المقدسة ، أما التوراة فنجدها تـــصرح بأسماء النقباء الذين أختارهم موسى عليه السلام ليتجسسوا على أرض كنعان وبينت إسم كل نقيب عن كل سبط من أسباط بني إسرائيل

(ثُمَّ كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «أَرْسِلْ رِجَالاً لِيَتَجَسَّسُوا أَرْضَ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. رَجُلاً وَاحِدًا لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ آبَائِهِ تُرْسِلُونَ. كُلُّ وَاحِدٍ رَئِيسٌ فِيهِمْ». فَأَرْسَلَهُمْ مُوسَى مِنْ بَرِّيَّةِ فَارَانَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. كُلُّهُمْ رِجَالٌ هُمْ رُؤَسَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهذِهِ أَسْمَاؤُهُمْ: مِنْ سِبْطِ رَأُوبَيْنَ شَمُّوعُ بْنُ زَكُّورَ. مِنْ سِبْطِ شِمْعُونَ شَافَاطُ ابْنُ حُورِي. مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا كَالِبُ بْنُ يَفُنَّةَ. مِنْ سِبْطِ يَسَّاكَرَ يَجْآلُ بْنُ يُوسُفَ. مِنْ سِبْطِ أَفْرَايِمَ هُوشَعُ بْنُ نُونَ. مِنْ سِبْطِ بَنْيَامِينَ فَلْطِي بْنُ رَافُو. مِنْ سِبْطِ زَبُولُونَ جَدِّيئِيلُ بْنُ سُودِي. مِنْ سِبْطِ يُوسُفَ: مِنْ سِبْطِ مَنَسَّى جِدِّي بْنُ سُوسِي. مِنْ سِبْطِ دَانَ عَمِّيئِيلُ بْنُ جَمَلِّي. مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ سَتُورُ بْنُ مِيخَائِيلَ. مِنْ سِبْطِ نَفْتَالِي نَحْبِي بْنُ وَفْسِي. مِنْ سِبْطِ جَادَ جَأُوئِيلُ بْنُ مَاكِي. هذِهِ أَسْمَاءُ الرِّجَالِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ مُوسَى لِيَتَجَسَّسُوا الأَرْضَ. وَدَعَا مُوسَى هُوشَعَ بْنَ نُونَ «يَشُوعَ») [1].

[1]. العدد (١٣ : ١ / ١٦) .

المبحث الخامس: حوادث لها صلة بالتيه .

المطلب الأول : تظليل بني إسرائيل بالغمام وإنزال المن والسلوى.

ذكر الله سبحانه وتعالى تظليل بني إسرائيل بالغمام وإنزاله المن والسلوى عليهم في أكثر من موضع في كتابه العزيز وذلك في معرض الحديث عن نعمه سبحانه وتعالى عليهم فقال عز من قائل : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ)[1]، وقال أيضا في سورة الأعراف (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ)[2] ، ومن خلال هذه الآيات لا نستطيع أن نجزم جزما قاطعاً أن هذه الأحداث وقعت في التيه ، وذلك لأن هذه الآيات لا تدل دلالة قطعية على حدوث التظليل بالغمام وإنزال المن والسلوى في التيه، ومع ذلك نرى جل المفسرين يذكرون أنها حدثت في التيه في صحراء سيناء، وقد نقل ذلك الطبري في تفسيره عن إبن عباس رضي الله عنهما[3]، وقد ذكر إبن كثير رحمه الله ذلك عن النسائي وغيره عن إبن عباس رضي الله عنهما فقال : ثم ظلل عليهم الغمام في التيه بالغمام [4]، وأشير إلى أن القرآن الكريم لم يفصل في قضية التظليل بالغمام وإنزال المن والسلوى وإنما ذكرت هذه المسائل مبهمة دون تفصيل، وقد ذكر المفسرون كلاماً طويلاً في طبيعة التظليل وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل وهذه الأقوال يجدها القارئ في مظان كتب التفاسير وليس من أغراض هذا البحث التعرض لها فلينظر في التفاسير من أراد الإستزادة[5].

---

1 . البقرة (٥٧) .
2 . الأعراف (١٦٠) .
3 . جامع البيان (٢/ ٩١) ، الطبري .
4 . تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٦٦) ، إبن كثير .
5 . أنظر معالم التنزيل (١/ ٩٧) ، للبغوي و وفتح القدير (١/ ٨٨) ، الشوكاني .

أما التوراة فقد ففي حديثها عن التظليل بالغمام فتذكر أن الله سبحانه وتعالى أرسل سحابة غطت المسكن (الخيمة) التي أمر بني إسرائيل ببنائها للرب ضمن طقوس معقدة وكثيرة ، وكانت السحابة حسب نصوص التوراة علامة من علامات البقاء والإرتحال في الصحراء، فمتى إرتفعت السحابة عن الخيمة كان بنو إسرائيل يرتحلون وفي المكان الذي تحل فيه السحابة يستقرون، وكانت هذه السحابة تلازمهم نهاراً وعمود النار يلازمهم ليلاً وهما بمثابة الدليل في الطريق المجهولة إلى أرض كنعان ، (**وَفِي يَوْمِ إِقَامَةِ الْمَسْكَنِ، غَطَّتِ السَّحَابَةُ الْمَسْكَنَ، خَيْمَةَ الشَّهَادَةِ. وَفِي الْمَسَاءِ كَانَ عَلَى الْمَسْكَنِ كَمَنْظَرِ نَارٍ إِلَى الصَّبَاحِ. هكَذَا كَانَ دَائِمًا. السَّحَابَةُ تُغَطِّيهِ وَمَنْظَرُ النَّارِ لَيْلاً. وَمَتَى ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْخَيْمَةِ كَانَ بَعْدَ ذلِكَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ، وَفِي الْمَكَانِ حَيْثُ حَلَّتِ السَّحَابَةُ هُنَاكَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْزِلُونَ. حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ، وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ. جَمِيعَ أَيَّامِ حُلُولِ السَّحَابَةِ عَلَى الْمَسْكَنِ كَانُوا يَنْزِلُونَ. وَإِذَا تَمَادَتِ السَّحَابَةُ عَلَى الْمَسْكَنِ أَيَّامًا كَثِيرَةً كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ الرَّبِّ وَلاَ يَرْتَحِلُونَ. وَإِذَا كَانَتِ السَّحَابَةُ أَيَّامًا قَلِيلَةً عَلَى الْمَسْكَنِ، فَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ، وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. وَإِذَا كَانَتِ السَّحَابَةُ مِنَ الْمَسَاءِ إِلَى الصَّبَاحِ، ثُمَّ ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ فِي الصَّبَاحِ، كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. أَوْ يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ ارْتَفَعَتِ السَّحَابَةُ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. أَوْ يَوْمَيْنِ أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً، مَتَى تَمَادَتِ السَّحَابَةُ عَلَى الْمَسْكَنِ حَالَّةً عَلَيْهِ، كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَنْزِلُونَ وَلاَ يَرْتَحِلُونَ. وَمَتَى ارْتَفَعَتْ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَنْزِلُونَ، وَحَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ كَانُوا يَرْتَحِلُونَ. وَكَانُوا يَحْرُسُونَ حِرَاسَةَ الرَّبِّ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ بِيَدِ مُوسَى**)[1]، والظاهر من كلام التوراة أن هذه السحابة لم تكن في فترة التيه وإنما كانت بعد خروجهم من أرض مصر هروباً من فرعون وقومه، وقد ظهرت

---

[1] . العدد (٩ : ١٥ / ٢٣) .

لهم هذه السحابة بعد أن سألوا موسى عليه السلام رؤية الله وبعد ذلك طلب منهم موسى عليه السلام حسب قول التوراة أن يبنوا خيمة للرب، وبعد أن أنجزوا بناءها حسب طلــب الــرب وطقوسه ظهرت لهم تلك السحابة، وقد كان ذلك كله قبل الأمر بدخول الأرض المقدسة حسب ترتيب نصوص التوراة والله أعلم .

أما حديث التوراة عن المن فقد ذكر الطاهر بن عاشور في تفسيره نقلاً عن التوراة وصف المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل، وقد جاء وصفه في بأنه دقيق مثل القشور يسقط ندى كالجليد على الأرض، وهو مثل بزر الكزبرة أبيض، وطعمه كرقاق بعــسل، وأنهــم كــانوا يلتقطونه قبل أن تحمى الشمس لأنها تذيبه، فكانوا إذا التقطوه طحنوه بالرحى، أو دقوه بالهاون وطبخوه في القدر، وعملوه ملأت، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت[1]، تقول التــوراة (**وَأَمَّــا الْمَنُّ فَكَانَ كَبِزْرِ الْكُزْبَرَةِ، وَمَنْظَرُهُ كَمَنْظَرِ الْمُقْلِ. كَانَ الشَّعْبُ يَطُوفُونَ لِيَلْتَقِطُوهُ، ثُمَّ يَطْحَنُونَهُ بِالرَّحَى أَوْ يَدُقُّونَهُ فِي الْهَاوَنِ وَيَطْبُخُونَهُ فِي الْقُدُورِ وَيَعْمَلُونَهُ مَلاَّتٍ. وَكَــانَ طَعْمُــهُ كَطَعْــمِ قَطَائِفَ بِزَيْتٍ. وَمَتَى نَزَلَ النَّدَى عَلَى الْمَحَلَّةِ لَيْلاً كَانَ يَنْزِلُ الْمَنُّ مَعَهُ**)[2]، والذي يظهر مــن حديث التوراة عن السلوى أنها طيور ترحل في أسراب كثيرة وتقول التوراة إن الله ســبحانه وتعالى قد أرسل هذه الطيور إلى محلة العبرانيين بعد أن تذمر بنو إســرائيل مــن موســى وهارون عليهما السلام بعد رحيلهم من مصر إلى برية سين (**فَكَلَّمَ الــرَّبُّ مُوسَــى قَــائِلاً: «سَمِعْتُ تَذَمُّرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ. كَلِّمْهُمْ قَائِلاً: فِي الْعَشِيَّةِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا، وَفِي الــصَّبَاحِ تَــشْبَعُونَ خُبْزًا، وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ».فَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّ السَّلْوَى صَعِدَتْ وَغَطَّتِ الْمَحَلَّــةَ. وَفِي الصَّبَاحِ كَانَ سَقِيطُ النَّدَى حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ. وَلَمَّا ارْتَفَعَ سَقِيطُ النَّدَى إِذَا عَلَى وَجْهِ الْبَرِّيَّــةِ**

---

[1] . التحرير والتنوير (١ / ٥٠٩) ، الطاهر بن عاشور .
[2] . العدد (١١ : ٧ - ٩) .

شَيْءٌ دَقِيقٌ مِثْلُ قُشُورٍ. دَقِيقٌ كَالْجَلِيدِ عَلَى الأَرْضِ) [1]. كما ويظهر من حديث التوراة عن المن والسلوى أن إنزالهما كان قبل التيه والله أعلم .

المطلب الثاني : إستسقاء موسى عليه السلام الماء لقومه .

ذكر الله سبحانه وتعالى إستسقاء موسى عليه السلام الماء لقومه في كتابه الكريم فقال عز من قائل : (وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[2]، وفي سورة الأعراف بقوله (وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ)[3]،وقد ذكر الإمامان الطبري وإبن كثير في تفسيريهما أن ذلك الإستسقاء كان من موسى عليه السلام لقومه بعد أن تاهوا في صحراء سيناء ونقلا ذلك القول عن إبن عباس رضي الله عنهما وعن قتادة وعن مجاهد[4]، وقد ذكر إبن عاشور في التحرير والتنوير أن هذا الإستسقاء كان قبل التيه وبعد خروجهم من مصر فقال : (وقد أشارت الآية إلى حادثة معروفة عند اليهود وذلك أنهم لما نزلوا في (رفيديم) قبل الوصول إلى برية سينا وبعد خروجهم من برية سين في حدود الشهر الثالث من الخروج عطشوا ولم يكن بالموضع ماء فتذمروا على موسى وقالوا أتصعدنا

---

1. الخروج (١٦ : ١١ / ١٤) .
2. البقرة (٦٠) .
3. الأعراف (١٦٠) .
4. أنظر جامع البيان (٢/ ١٢٠) للطبري ، وتفسير القرآن العظيم (١ / ٢٧٩) ، ابن كثير .

من مصر لنموت وأولادنا ومواشينا عطشاً فدعا موسى ربه فأمره الله أن يــضرب بعــصاه صخرة هناك في (حوريب) فضرب فانفجر منها الماء)[1] والله اعلم بالصواب.

أقول: نلاحظ هنا أن القرآن الكريم سكت عن تحديد وقت الإستسقاء فلم يصرح أنه كان فــي التيه أو خارجه، وقد نص القرآن على طلب السقيا من موسى عليه السلام وأمر الله له بــأن يضرب حجرٍ أبهمه القرآن فلم يذكر له نعوتاً خاصة تميزه عن غيره من الأحجار، ولم يذكر القرآن إذا كان الحجر محمولاً مع الإسرائيلين في ترحالهم أم انه حجر ثابت في مكانه، وقــد نص القرآن على خروج الأعين الإثني عشر من الحجر وقد عبر القرآن عن حالــة خــروج الماء من الحجر بالإنفجار في سورة البقرة المدنية وبالإنبجاس في سورة الأعراف المكية.

أما التوراة فيأتي الحديث فيها عن الماء الذي وهبه الله لبني إسرائيل بعد الحديث عن رفــض بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة التي أمرهم الله بدخولها وقتال أهلها ووعدهم بالنصر إن إستجابوا لأمره تعالى، وهذا يعني أن التوراة تشير إلى أن هذا الماء وهب لبني إسرائيل أثناء التيه في صحراء سيناء وكان ذلك بعد دخولهم إلى صحراء (صين) وإقامتهم في (قادش) وهناك تذمر بنو إسرائيل من موسى وهارون عليهما السلام بسبب عدم وجود الماء، واتهمهما بنو إسرائيل أنهما أتيا بهم إلى هذه الصحراء ليموتوا جوعاً وعطشاً، وأمام هذا التذمر الكبير تقول التوراة أن الرب تراءى لموسى وهارون عليهما السلام وطلب منهما أن يجمعــا بنــي إسرائيل أمام الصخرة وأن يكلماها (أي يأمراها) أن تخرج لهم الماء من داخلها، وعنــدها ضرب موسى عليه السلام الصخرة بعصاه مرتين حتى إذا فعل خرج الماء مــن الــصخرة وشرب بنو إسرائيل، ونلاحظ أن التوراة لم تذكر أن العيون إثنتا عشرة عينا وذلــك التقــسيم الذي ذكر في القرآن يوحي كما ذكر إبن عاشور في تفسيره من الرفق ببني إســرائيل لــئلا

[1]. التحرير والتنوير (١/ ٥١٧) الطاهر بن عاشور .

يتزاحموا مع كثرتهم فيهلكوا، ولا تذكر التوراة أمر الله لموسى عليه السلام بضرب الصخرة وإنما أمره بأمرها أن تخرج الماء تقول التوراة مبينة هذا الحدث (**وَأَتَى بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، إِلَى بَرِّيَّةِ صِينَ فِي الشَّهْرِ الأَوَّلِ. وَأَقَامَ الشَّعْبُ فِي قَادَشَ. وَمَاتَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ وَدُفِنَتْ هُنَاكَ. وَلَمْ يَكُنْ مَاءٌ لِلْجَمَاعَةِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ. وَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَكَلَّمُوهُ قَائِلِينَ: «لَيْتَنَا فَنِينَا فَنَاءَ إِخْوَتِنَا أَمَامَ الرَّبِّ. لِمَاذَا أَتَيْتُمَا بِجَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى هذِهِ الْبَرِّيَّةِ لِكَيْ نَمُوتَ فِيهَا نَحْنُ وَمَوَاشِينَا؟ وَلِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِتَأْتِيَا بِنَا إِلَى هذَا الْمَكَانِ الرَّدِيءِ؟ لَيْسَ هُوَ مَكَانَ زَرْعٍ وَتِينٍ وَكَرْمٍ وَرُمَّانٍ، وَلاَ فِيهِ مَاءٌ لِلشُّرْبِ فَأَتَى مُوسَى وَهَارُونُ مِنْ أَمَامِ الْجَمَاعَةِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَسَقَطَا عَلَى وَجْهَيْهِمَا، فَتَرَاءَى لَهُمَا مَجْدُ الرَّبِّ. وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: «خُذِ الْعَصَا وَاجْمَعِ الْجَمَاعَةَ أَنْتَ وَهَارُونُ أَخُوكَ، وَكَلِّمَا الصَّخْرَةَ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ أَنْ تُعْطِيَ مَاءَهَا، فَتُخْرِجُ لَهُمْ مَاءً مِنَ الصَّخْرَةِ وَتَسْقِي الْجَمَاعَةَ وَمَوَاشِيَهُمْ». فَأَخَذَ مُوسَى الْعَصَا مِنْ أَمَامِ الرَّبِّ كَمَا أَمَرَهُ، وَجَمَعَ مُوسَى وَهَارُونُ الْجُمْهُورَ أَمَامَ الصَّخْرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا أَيُّهَا الْمَرَدَةُ، أَمِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ نُخْرِجُ لَكُمْ مَاءً؟». وَرَفَعَ مُوسَى يَدَهُ وَضَرَبَ الصَّخْرَةَ بِعَصَاهُ مَرَّتَيْنِ، فَخَرَجَ مَاءٌ غَزِيرٌ، فَشَرِبَتِ الْجَمَاعَةُ وَمَوَاشِيهَا)**[1].

[1]. العدد (٢٠: ١- ١١) .

ملخص الدراسة

١. يتفق الكتابان أن سبب التيه كان رفض بني إسرائيل الإمتثال لأمـــر الله بـــدخول الأرض المقدسة.

٢. تذكر التوراة أن موسى عليه السلام أرسل إثني عشر نقيبا مـــن بنـــي إســـرائيل ليتجسسوا على أرض كنعان ويأتوه بخبر أهلها ولا يذكر القرآن هذا الأمر .

٣. تذكر التوراة أن الله عز وجل أخبر موسى عليه السلام أنه سينزل الوباء على بني إسرائيل بسبب رفضهم دخول الأرض المقدسة ولا يذكر القرآن هذا الأمر .

٤. تذكر التوراة أن موسى عليه السلام طلب من الله عز وجل أن لا ينزل الوباء ببني إسرائيل وقد إستجاب الله له ، ولا يذكر القرآن هذا الأمر .

٥. تذكر التوراة ندم بني إسرائيل على عصيانهم أمر الله بدخول الأرض المقدسة ولا يذكر القرآن هذا الأمر .

٦. تذكر التوراة مصير النقباء العشرة الذين خالفوا أمر الله، فقد ماتوا بالوباء الذي لم تحدد طبيعته ، ولا يذكر القرآن الكريم شيئا عن مصير النقباء جميعاً .

٧. يذكر القرآن دعاء موسى عليه السلام على قومه بعـــد رفـــضهم دخـــول الأرض المقدسة ولا تذكر التوراة شيئا عن هذا الدعاء .

٨. سكت القرآن عن طبيعة التفريق الذي حصل بين موسى عليه السلام وقومه بعـــد معصيتهم ولم يبن طبيعته ، بينما لا تذكر التوراة شيئاً عن هذا التفريق .

٩. ذكر القرآن تذكير موسى عليه السلام لقومه بنعم الله عز وجل قبل أن يأمرهم بدخول الأرض المقدسة ، بينما تذكر التوراة تذكير موسى عليه السلام لقومه بنعم الله في معرض التوبيخ والتقريع بعد رفضهم الأمر بدخول الأرض المقدسة .

١٠. يتفق الكتابان أن بني إسرائيل قد تذمروا من موسى عليه السلام بعد أن حثهم على دخول الأرض المقدسة .

١١. لا يحدد الكتابان زمن التيه الذي وقع لبني إسرائيل .

١٢. لم يحدد القرآن الكريم المكان الذي تاه فيه بنو إسرائيل، وقد عبر عنه بلفظ الأرض ، أما التوراة فتذكر الكثير من الأماكن التي مر بها بنو إسرائيل خلال مرحلة التيه وخلاصة ذلك انه وقع في صحراء سيناء .

١٣. يتفق الكتابان أن مدة التيه كانت أربعين سنة .

١٤. تذكر التوراة أن الله قد حكم على كل أبناء ذلك الجيل الذين بلغوا العشرين فأكثر أن يموتوا بالوباء ولا يذكر القرآن هذا الأمر .

١٥. لم يحدد القرآن عدد الإسرائيليين أثناء التيه بينما نجد في التوراة فوضى رقمية عند حديثها عن عدد بني إسرائيل أثناء التيه حتى تخلص التوراة أن عدد الإسرائيليين في نهاية التيه بلغ ٦١٧٣٠ رجل قادر على حمل السلاح عدا الأطفال والنساء .

١٦. لم يحدد القرآن إسم الأرض المقدسة التي أمر بنو إسرائيل بدخولها وخلاصة نصوص التوراة تشير إلى أن تلك الأرض تقع ضمناً في أرض الميعاد وهي الأرض التي تقع ما بين النيل والفرات وهذه الأرض المقدسة جزء من أرض كنعان التي تشكل فلسطين قسماً منها .

١٧. يتفق الكتابان أن صفة الجبن صفة ملازمة لبني إسرائيل وقد منعتهم هذه الـصفة من دخول الأرض المقدسة .

١٨. لا يذكر القرآن الكريم تفاصيل عن الأقوام الذين كانوا يسكنون الأرض المقدسة ، أما التوراة فتذكر أسماء أولئك الأقوام وتخوض في تفاصيل كثيرة حـول قـوتهم وضخامة أجسادهم .

١٩. ذكر القرآن الكريم أن الله كتب الأرض المقدسة لبني إسـرائيل بـشرط الإلتـزام والطاعة لله ، وقد سقط حقهم فيها بعد عصيانهم وتمردهم، أما التوراة فتـذكر أن الله أعطى بني إسرائيل الأرض المقدسة ميراثاً أبدياً دون شروط .

٢٠. صرح الكتابان أن عدد نقباء بني إسرائيل كان اثني عشر نقيباً.

٢١. لم يصرح القرآن بأسماء النقباء الإثني عشر ، بينما نجد في التـوراة التـصريح بأسمائهم وأسماء أسباطهم الذين أنتدبوا عنهم .

٢٢. لا تفاصيل في القرآن حول قضية التظليل بالغمام وإنزال المن والـسلوى والتـي يرجح المفسرون وقوعها في التيه بينما نجد تفاصيل أوسع حولها في التوراة.

٢٣. لا يذكر القرآن الكريم أن حادثة الإستسقاء كانت زمن التيه صراحة، بينما يـأتي الحديث عنها في التوراة في سياق الحديث عن رفض بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة مما يوحي بوقوعها زمن التيه .

٢٤. عدد عيون الماء التي إنفجرت من الصخرة كما ذكر القرآن الكريم إثنا عشرعيناً، بينما لا تصرح التوراة بعدد العيون المتفجرة من الصخرة .

٢٥. يذكر القرآن الكريم الأمر الإلهي لموسى عليه السلام بضرب الصخرة بالعصا لإخراج الماء منها، بينما لا تذكر التوراة هذا الأمر .

٢٦. في القرآن ضرب موسى عليه السلام الصخرة بعصاه مرة واحدة كما دل السياق، بينما تذكر التوراة أن موسى عليه السلام ضرب الصخرة بعصاه مرتين .

٢٧. تذكر التوراة (يوشع بن نون) و(كالب بن يفنه) من النقباء، ولا نجد لهما ذكراً في القرآن الكريم .

٢٨. تذكر التوراة أن موسى عليه السلام مات في جبل (نبو) من أرض موآب ودفن في مكان لا يعلمه أحد، بينما لا يذكر القرآن خلال حديثه عن التيه شيئاً عن موته عليه السلام .

٢٩. يهتم القرآن بإيراد الأحداث التي فيها مواطن العبر والعظات، بينما تركز التوراة على التفاصيل والسرد التاريخي وذكر الأسماء والمناطق إلى حد كبير .

٣٠. هناك بعض التوافق بين القرآن والتوراة في الحديث عن تيه بني إسرائيل ولكن جانب الاختلافات أوسع وأكبر.

وختاماً: لا أزعم أنني وفيت هذا الموضوع حقه ولكن حسبي أنني قد بذلت جهدي، فإن أحسنت فمن الله وإن أسأت فمن نفسي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مراجع البحث

١. القرآن الكريم .

٢. التوراة.

٣. قاموس الكتاب المقدس.

٤. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط .

٥. الألوسي، شهاب الدين محمود ، روح المعاني، إدارة الطباعة المنبرية ودار إحياء التراث العربي، بيروت .

٦. البار، محمد علي ، الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم، دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٩٩٠م.

٧. البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري ، حقَّق أصولها الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، ١٩٩٤م.

٨. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط(٤) ، ١٤١٧هـ .

٩. التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب ، مشكاة المصابيح ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط(٣)، ١٤٠٥هـ .

١٠. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلـــم، ط١، ١٩٩٨م.

١١. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١)، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

١٢. الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

١٣. الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير ،دار الفكر، بيروت .

١٤. الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار ســحنون للنــشر والتوزيـــع ، تـــونس ، ١٩٩٧م.

١٥. الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط (١) ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م .

١٦. عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء. النجار، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر.

١٧. إبن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتـــاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميـــة، لبنـــان، ط (١)، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٣م.

١٨. إبن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ .

١٩. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٣م.

٢٠. مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق : أحمد فريد، دار الكتب العلمية ، لبنان، بيروت ط(١)، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٢١. إبن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط(١) ، دار صادر، بيروت.

٢٢. موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة نخبة من الدعاة، دار الكندي، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.

٢٣. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلـــدان، دار صادر بيروت.

والحمد لله الذي بنعمته تتــم الصالحات

